«مشاكل داخلية 32b» يكشف هشاشة الأبوة أمام أسئلة المراهقة

ص9

أيوب بوعدي التضحية لتشريف المغرب في المونديال

ص11

هل انتهى زمن هيمنة العمالقة؟

ص3

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الجمعة 2026/05/29 - 12 ذوالحجة 1447

السنة 48 العدد 13821

Friday 29/05/2026

48th Year, Issue 13821

www.alarab.co.uk

الميليشيات أمام اختبار دعوة الصدر: تأييد لفظي وتمسّك عملي بالسلاح

الخزعلي يدعم حصر السلاح بيد الدولة العراقية لتخفيف الضغوط الأميركية

بغداد - لم يكن قرار رجل الدين الشيعي العراقي مقتدى الصدر بفك ارتباط "سرايا السلام" بالتيار الذي يتزعمه ووضعها تحت تصرف الدولة مجرد خطوة تنظيمية داخلية، بل تحول بسرعة إلى حدث سياسي وأمني أربك المشهد الشيعي برمته، وأعاد فتح ملف السلاح خارج إطار الدولة في لحظة تواجه فيها الحكومة العراقية ضغوطا داخلية وخارجية متزايدة لإعادة فرض هيبتها على المؤسسات الأمنية والعسكرية.

وجاء إعلان الصدر بصورة مفاجئة، حين قرر فصل الميليشيا التابعة له عن التيار الوطني الشيعي وإلحاقها بالدولة، في خطوة حظيت بترحيب مباشر من رئيس الوزراء علي الزيدي الذي يجد نفسه أمام تحد معقد يتمثل في كيفية التعامل مع الفصائل المسلحة التي راكمت نفوذا سياسيا وأمنيا واسعا خلال السنوات الماضية.

وتكتسب الخطوة أهمية خاصة لأنها صادرة عن أحد أبرز قادة القوى الشيعية المسلحة وأكثرهم تأثيرا في الشارع العراقي. فالصدر الذي خاض خلال السنوات الماضية صراعات سياسية وعسكرية مع خصومه داخل البيت الشيعي، اختار هذه المرة توجيه رسالة مختلفة مفادها أن مستقبل الدولة لا يمكن أن يستقيم في ظل استمرار ازدواجية السلطة والسلاح.

> لا يبدو السؤال اليوم من يوافق على حصر السلاح بيد الدولة، بل من يقبل بأن تكون الدولة وحدها صاحبة القرار

وقد وضعت هذه الرسالة قادة الفصائل الأخرى في موقف حرج، إذ بات من الصعب عليهم رفض دعوات حصر السلاح بيد الدولة بصورة علنية بعد أن صدرت المبادرة من شخصية تمتلك قاعدة شعبية واسعة وتاريخا طويلا في العمل المسلح.

وكان قيس الخزعلي، زعيم عصائب أهل الحق، من أوائل الذين سعوا إلى مواكبة القرار سياسيا وإعلاميا. فأعلنت العصائب وذراعها السياسية "كتلة صادقون" تمسكهما بمبدأ حصر السلاح بيد الدولة ورفض وجود أي سلاح خارج المؤسسات الرسمية.

كما شدد مسؤولون في الحركة على أن الدعوة إلى تنظيم السلاح تمثل موقفا وطنيا يهدف إلى قطع الطريق أمام الضغوط الخارجية، وخاصة الأميركية، التي تتخذ من انتشار السلاح خارج إطار الدولة ذريعة لممارسة المزيد من الضغوط على بغداد.

وفي السياق نفسه تحدث الخزعلي خلال خطبة عيد الأضحى عن ضرورة بناء دولة قوية تمتلك قرارها ومؤسساتها، مؤكدا أن المقاومة لا يمكن أن تقتصر على العمل العسكري فقط، بل يجب أن تتحول إلى مشروع متكامل لبناء الدولة.

لكن هذه المواقف، رغم أهميتها السياسية، بدت قريبة إلى محاولة مسايرة المزاج العام الذي فرضه قرار الصدر أكثر من قربها إلى الإعلان عن تحول فعلي في بنية الفصائل المسلحة. فالعصائب لا تتحدث عن حل تشكيلاتها أو تفكيك هياكلها، بل تؤكد باستمرار أنها جزء من هيئة الحشد الشعبي التي تحولت قانونيا إلى مؤسسة رسمية ممولة من الدولة.

الميليشيا تظل ميليشيا وإن احتمت براية الدولة

وهنا تكمن إحدى أكبر الإشكاليات التي تواجه الدولة العراقية. فالكثير من الفصائل المسلحة تعتبر نفسها منضوية أصلا ضمن مؤسسات الدولة عبر الحشد الشعبي، لكنها في الوقت نفسه تحافظ على هياكل قيادية مستقلة وروابط عقائدية وسياسية تتجاوز التسلسل العسكري الرسمي. ولذلك فإن الحديث عن حصر السلاح بيد الدولة لا يقتصر على التمويل أو الصفة القانونية، بل يتعلق أساسا بمن يمتلك القرار النهائي في استخدام القوة.

ويبدو أن الخزعلي، بوصفه أحد أركان الإطار التنسيقي الشيعي وشريكا أساسيا في السلطة الحالية، يدرك حساسية المرحلة. فاستقرار النظام السياسي القائم يمثل مصلحة مباشرة للفصائل المنخرطة في الحكم، كما أن تخفيف الضغوط الأميركية عن بغداد يصب في مصلحة الحكومة والقوى الحاكمة على حد سواء.

في المقابل لا تنظر جميع الفصائل إلى المسألة من الزاوية نفسها. فهناك قوى لا تزال ترى في الاحتفاظ بسلاحها ضمانة إستراتيجية تتجاوز الحسابات الداخلية، وترتبط مباشرة بدورها داخل ما يعرف بمحور المقاومة الذي تقوده إيران في المنطقة.

ومن أبرز هذه الفصائل كتائب سيد الشهداء التي أعلنت بوضوح رفضها فكرة تسليم السلاح في الظروف الحالية. وأكد المتحدث باسمها كاظم الفرطوسي أن موقف الفصيل ثابت وغير قابل للتغيير، معتبرا أن استمرار ما يصفه بالتهديدات الخارجية والخروقات التي تمس السيادة العراقية يبرر الإبقاء على "سلاح المقاومة".

ويعكس هذا الموقف رؤية مختلفة تماما لمفهوم الدولة والأمن. فبينما ينطلق أنصار حصر السلاح من فكرة أن احتكار القوة شرط أساسي لبناء دولة مستقرة، ترى الفصائل الرافضة أن وجودها المسلح يمثل ضرورة مرتبطة بمخاطر إقليمية وأمنية لا تزال قائمة.

ولذلك لم يقتصر رفضها على تسليم السلاح فحسب، بل امتد أيضا إلى الاعتراض على فكرة الدمج الكامل للتشكيلات المسلحة داخل المؤسسات الأمنية، بحجة أن لكل جهة دورها واختصاصها وظروفها الخاصة.

استهداف إيران للكويت يفسد مزاج التهدئة السائد في المنطقة

واشنطن - مثّل استهداف إيران للكويت بصواريخ وطائرات مسيّرة خطوة تصعيدية مخالفة لجهود التهدئة التي انخرطت فيها عدة جهات إقليمية بما في ذلك بلدان خليجية، وأثار موجة واسعة من التنديد والاستنكار.

واعتبر الجيش الأميركي الخميس أن إطلاق إيران صواريخ وطائرات مسيّرة على الكويت يشكّل "انتهاكا صارخا لوقف إطلاق النار".

وأشارت القيادة المركزية الأميركية في منشور على منصة إكس إلى أنّ "هذا الانتهاك الصارخ لوقف إطلاق النار من قبل النظام الإيراني وقع بعد ساعات من إطلاق القوات الإيرانية خمس طائرات مسيّرة هجومية أحادية الاتجاه شكلت تهديدا واضحا في مضيق هرمز وبالقرب منه"، مؤكدة أنّ القوات الأميركية تمكنت من اعتراض كل المسيّرات الخمس ومنعت أيضا إطلاق سادسة.

وأدانت الكويت الهجمات الإيرانية الأخيرة عليها ووصفتها بأنها "تصعيد خطير". وجاء ذلك في بيان للخارجية الكويتية عبّرت فيه عن "إدانة واستنكار دولة الكويت الشديدين للاعتداءات الإيرانية الآثمة التي استهدفت أراضي الدولة بالصواريخ والطائرات المسيّرة، في تصعيد خطير وانتهاك صارخ لسيادة دولة الكويت وأمنها وسلامة أراضيها".

وجاء ذلك بعد أن أعلن الجيش الكويتي صباح الخميس عن تصديه لهجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة. وخليجيا أدانت دولة الإمارات العربية المتحدة بـ"أشد العبارات الاعتداءات الإرهابية الإيرانية التي استهدفت دولة الكويت بالصواريخ والطائرات المسيرة".

وأكدت في بيان لخارجيتها أن "هذه الاعتداءات الإرهابية تمثل انتهاكا صارخا لسيادة دولة الكويت، وتهديدا لأمنها واستقرارها". وأعربت الوزارة عن "تضامن دولة الإمارات الكامل مع دولة الكويت الشقيقة، ودعمها لكل ما من شأنه حفظ أمنها واستقرارها".

كذلك أدانت المملكة العربية السعودية واستنكرت بـ"أشد العبارات" الهجمات المعادية بصواريخ وطائرات مسيرة على دولة الكويت.

وقالت وزارة الخارجية السعودية، في بيان صحفي أوردته وكالة الأنباء الرسمية، إنّ "المملكة تشدد على رفضها القاطع لانتهاك سيادة الدول ومحاولة تهديد أمن المنطقة واستقرارها".

وعبرت المملكة عن "تضامنها مع دولة الكويت الشقيقة حكومة وشعبا"، مجددة "دعمها الكامل لكل ما تتخذه الكويت من إجراءات تحفظ سيادتها وأمنها واستقرارها وشعبها الشقيق".

بدورها، قالت قطر إن استهداف الكويت بصواريخ وطائرات مسيرة يعد انتهاكا سافرا لسيادتها، وخرقا فاضحا لقواعد القانون الدولي.

وشددت وزارة الخارجية القطرية في بيان على ضرورة تجنيب المنطقة تبعات الهجمات غير المبررة، والعمل على خفض التصعيد لاستعادة الأمن والاستقرار إقليميا ودوليا.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

المغرب والخليج: شراكة تصنع الاستقرار وتفتح آفاق التنمية

المكالمات التي أجراها الملك محمد السادس مع قادة دول مجلس التعاون الخليجي في أعقاب التوترات الأخيرة في المنطقة لم تكن مجرد واجب بروتوكولي، بل تأكيدًا على شراكة تعمّقت على مدار عقود حتى باتت تتجاوز المفهوم التقليدي للعلاقات العربية – العربية. ما يميز هذه العلاقة هو طابعها متعدد الأبعاد؛ فالأمن يبقى ركيزتها، لكن الشراكة امتدت لتشمل المرونة الاقتصادية وتدفقات الاستثمار والتحول التكنولوجي، في انتقال واضح من التنسيق الدبلوماسي المتقطع إلى تحالف إستراتيجي ذي أفق طويل المدى. هذه العلاقة تمثل اليوم نموذجا عربيا يؤسس لمنهج جديد في الاستقرار والتنمية.

تنفرد العلاقة المغربية – الخليجية بأنها تقوى في الأزمات دون أن تفتقر إلى المضمون في أوقات الهدوء. عندما اندلعت التوترات الإيرانية الأخيرة، أعلن وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة عن تمديد خطة العمل المشترك بين المغرب ودول الخليج لتشمل الفترة الممتدة بين 2025 و2030، مع التركيز على توسيع التعاون الاقتصادي والاستثماري، مضيفا أن تضامن المغرب مع حلفائه الخليجيين يندرج ضمن رؤية إستراتيجية أشمل تهدف إلى دعم الاستقرار في العالم العربي. أرسيت أسس هذه الشراكة في قمة المغرب ومجلس التعاون عام 2016، حين تجاوز الطرفان التعاون المتقطع نحو تحالف منظّم وبعيد المدى.

وفي ملف الصحراء المغربية تحديدا، كان الدعم الخليجي حاضرا وثابتا، مما أسهم في إعطاء الموقف المغربي زخما دبلوماسيا في المحافل الدولية. وفي عام 2025، انتزع المغرب قرارا من مجلس الأمن الدولي يُكرّس مخططه للحكم الذاتي، وهو انتصار دبلوماسي متعدد الأطراف لم يكن ممكنا دون تنسيق وثيق مع شركاء إقليميين محوريين. هذا الدعم المتبادل ليس مجرد تضامن رمزي، بل هو استثمار متبادل في الشرعية والنفوذ الدولي.

البُعد الاقتصادي لهذه الشراكة ربما يكون الأكثر تجليا ودلالة على مدى نضجها. فمنذ إطلاق مجلس التعاون الخليجي صندوقا للتنمية لتمويل مشاريع البنية التحتية والإسكان والطاقة في المغرب عام 2013، تدفقت رؤوس الأموال الخليجية بانتظام، وكان أبرزها مشاركة شركة "أكوا باور" السعودية في بناء مجمع نور ورزازات الشمسي، أحد أكبر مرافق الطاقة المتجددة في العالم. وقد تجاوز التعاون حدود مشروع بعينه ليُشكّل نمطا استثماريا راسخا. فقد قفز الاستثمار الأجنبي المباشر في المغرب بنسبة 59 في المئة في النصف الأول من عام 2025، في وقت تواجه فيه تدفقات الاستثمار العالمية نحو الاقتصادات النامية ضغوطا متزايدة.

ما تجده صناديق الثروة السيادية الخليجية في المغرب قبل أي شيء آخر هو الاستقرار المؤسسي؛ فالاستمرارية السياسية ومسار الإصلاح التدريجي والانضباط الاقتصادي الكلي أوجدت بيئة سياسية يتطور فيها التغيير بصورة تدريجية لا مفاجئة، وهو ما تبحث عنه تحديدًا رؤوس الأموال ذات الأفق البعيد التي تدير ثروات وطنية لأجيال قادمة. وقد وسّع صعود عقود التصدير المتكاملة في صناعات السيارات والفضاء والمعادن الحيوية مكانة المغرب في سلاسل الإمداد العالمية، مما جعله وجهة مفضلة وسط جهود غربية لتقليص الاعتماد على سلاسل الإمداد الصينية.

وفي الأفق، يستهدف المنتدى المغربي – الخليجي للاستثمار الذي يُعقد دوريًا في الدار البيضاء توسيع فرص الاستثمار في الطاقة المتجددة والبنية التحتية وتقنيات التصنيع الحديثة، مع الاستفادة من الموقع الإستراتيجي للمغرب كبوابة استثمارية نحو أوروبا وأفريقيا.

> شراكة المغرب والخليج أثبتت قدرتها على الصمود أمام الأزمات متجاوزة الروابط التقليدية لتصبح تحالفا إستراتيجيا

يمثّل التعاون المغربي – الخليجي نهجا في إدارة التحديات يتجاوز الاستجابة التفاعلية نحو التخطيط الوقائي المشترك. فقد أكد وزير الخارجية المغربي أن مفهوم الأمن القومي بات يشمل بصورة متزايدة المرونة الاقتصادية والاستقرار الاجتماعي وقدرة الدول على تأمين الاحتياجات الأساسية لمواطنيها في أوقات الأزمات. وهو تحول في التفكير الإستراتيجي العربي يضع أمن الطاقة وسلاسل الإمداد والأمن الغذائي في مصاف المكونات الحرجة للأمن القومي والإقليمي.

ما تحتاجه هذه الشراكة في مرحلتها القادمة هو الانتقال من التنسيق إلى التكامل الهيكلي، أي بناء مؤسسات مشتركة وآليات عمل دائمة لا تتوقف فاعليتها على الإرادة السياسية اللحظية. صندوق استثمار مشترك تحت إدارة مزدوجة، ومنظومة تعليم مهني تُعدّ الكوادر الشابة من الجانبين للعمل في بيئات متكاملة، وشبكة بحث علمي تربط بين مراكز التميز في المغرب وجامعات الخليج – هذه ليست أفكارا طوباوية، بل خطوات قابلة للتنفيذ في سياق شراكة وصلت إلى درجة من النضج تتيح لها الطموح.

حين يلتقي المغرب والخليج، لا تلتقي مجرد حكومات تتبادل المصالح، بل تلتقي رؤية إستراتيجية مشتركة تؤمن بأن الاستقرار العربي يُبنى بالتعاون؛ بالمال والخبرة والإنسان معا.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

التصعيد في لبنان يتحول إلى «فخ متبادل» مع إسرائيل

أوامر الإخلاء الإسرائيلية شملت خُمس مساحة لبنان

بينما يراهن حزب الله على الطائرات المسيّرة والضربات النوعية لإرباك الجيش الإسرائيلي وإثبات قدرته على مواصلة القتال، تبدو إسرائيل أكثر ميلا إلى تعويض عجزها عن حسم المعركة عسكريا عبر توسيع المناطق العازلة وتصعيد الضغوط على البيئة المدنية اللبنانية.

قصف لا يهدأ

بيروت - دخلت الحرب بين حزب الله وإسرائيل مرحلة الاستنزاف، حيث يحاول الحزب اللبناني الموالي لإيران إيقاع أكبر الأضرار في صفوف القوات الإسرائيلية، في المقابل ترد إسرائيل بتوسيع نطاق المنطقة العازلة، وتصعيد ضرباتها لتطال الخميس بيروت مجددا.

وتشكل المسيرات التي يستخدمها حزب الله ضد القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان، وأيضا في شمال إسرائيل، معضلة حقيقية للقيادتين السياسية والعسكرية في الدولة العبرية، مع استعصاء الحلول العسكرية في مواجهة هذا التحدي، الأمر الذي تحاول تل أبيب الاستعاضة عنه بتوجيه ضربات أكثر إيلاما للمدنيين في لبنان.

وذهب وزير المالية الإسرائيلي اليميني المتطرف بتسلئيل سموتريتش، الخميس، إلى حد التحريض على تدمير 100 مبنى في العاصمة اللبنانية بيروت مقابل كل طائرة مسيرة يطلقها حزب الله تصيب جنديا إسرائيليا.

ويعكس موقف الوزير الإسرائيلي حالة العجز لدى المؤسسة العسكرية الإسرائيلية في احتواء خطر هذه المسيرات، التي من الصعب رصدها وشل حركتها.

بتسلئيل سموتريتش
يتعين تدمير 10 مبان في ضاحية بيروت مقابل كل مسيّرة

وقال سموتريتش، زعيم حزب "الصهيونية الدينية"، بتدوينة على منصة إكس، إن "السبيل الوحيد لحماية الجنود هو تدمير 10 مبان في ضاحية بيروت مقابل كل طائرة مسيرة، و100 مبنى مقابل كل مسيرة تصيب جنديا".

وجاءت تصريحات سموتريتش عقب إعلان الجيش الإسرائيلي مقتل مجندة وإصابة عسكريين، إثر انفجار مسيرة مفخخة أطلقها حزب الله على موقع عسكري شمال إسرائيل.

ولا توجد إحصائيات رسمية حيال أعداد القتلى والجرحى في صفوف الإسرائيليين جراء الإصابة بمسيرات حزب الله، لكن مراقبين يرجحون أن يكون العدد بالعشرات. ويقول المراقبون إن الحكومة الإسرائيلية قد تعمد إلى تصعيد عملياتها بشكل أكثر إيلاما للمدنيين للضغط على حزب الله، مع توسيع مساحة المنطقة العازلة في جنوب لبنان، لتقليل خطر استهداف مناطقها الشمالية.

ولم يحقق وقف إطلاق النار في لبنان الذي جرى التوصل إليه الشهر الماضي أي قدر يذكر من تخفيف معاناة المدنيين اللبنانيين، إذ يتواصل نزوحهم من مناطق تتسع تدريجيا في البلاد بفعل حملة إسرائيلية لا تتوقف من الغارات الجوية وأوامر الإخلاء.

وفشل وقف إطلاق النار، الذي جاء بوساطة أميركية وأُعلن عنه في 16 أبريل بعد نحو ستة أسابيع من اندلاع القتال، في وقف العنف بين إسرائيل وحزب الله، إذ يواصل الطرفان شن هجمات شبه يومية مع تبادل الاتهامات بانتهاك الاتفاق.

وأدى ذلك إلى نزوح مئات الآلاف من المدنيين من منازلهم في جنوب لبنان. وبعد وقت قصير من إعلان وقف إطلاق النار، نشرت إسرائيل خارطة حددت فيها منطقة عازلة تمتد على نحو 600 كيلومتر مربع كانت قد احتلتها بقواتها البرية، مع إدراج 57 بلدة وقرية صدرت تحذيرات لسكانها بالإخلاء.

وأظهرت مراجعة لبيانات إسرائيلية أنه منذ ذلك الحين نفذ الجيش الإسرائيلي مئات الغارات الجوية على نطاق أوسع بكثير من المنطقة التي يحتلها، وأصدر أوامر إخلاء شملت أكثر من 100 بلدة وقرية لبنانية إضافية.

وكشفت المراجعة التي أجرتها رويترز ومقابلات مع مسؤولين محليين وموظفي إغاثة ونازحين أنه بالإضافة إلى المنطقة التي احتلها الجيش الإسرائيلي، تغطي هذه الأوامر نحو ألفي كيلومتر مربع من مساحة لبنان، أي ما يقارب خُمس البلاد، وهو ما جعل مساحات واسعة محظورة فعليا بالنسبة إلى السكان.

ويقدم هذا التقرير واحدة من أكثر الصور تفصيلا حتى الآن لأزمة النزوح المتفاقمة التي تجتاح هذا البلد الصغير الواقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

وتسعى إسرائيل إلى إبعاد خصومها، وهم إيران والفصائل المتحالفة معها ومن بينها حزب الله وحماس، بإستراتيجية معلنة تتمثل في إنشاء "مناطق عازلة" على حدودها مع غزة وسوريا، والآن لبنان، بهدف حماية الإسرائيليين.

وأدى اتساع نطاق مناطق الإخلاء، إلى جانب الغموض المحيط بالهجمات المستمرة والحجم النهائي للمنطقة العازلة الإسرائيلية، إلى تصاعد مخاوف الكثير من السكان من أنهم قد لا يتمكنون من العودة إلى منازلهم أبدا.

وقال إياد وطفي وهو مختار، أو مسؤول منتخب، ببلدة البازورية إن البلدة التي كان يقطنها نحو 13 ألف نسمة تعرضت لعدة غارات جوية وأوامر إخلاء منذ سريان وقف إطلاق النار، موضحا أنه لا يرى سبيلا للعودة حاليا.

وأضاف أن الأسبوع الماضي فقط شهد تدمير 20 مبنى في البلدة خلال ليلة واحدة. وقال إن جزءا صغيرا فقط من السكان بقي، بينما لجأ معظم الآخرين إلى العيش في خيام في الشمال، مضيفا أن قلة قليلة تشعر بالأمان حيال العودة في المستقبل المنظور.

واندلع التصعيد الأحدث في لبنان في الثاني من مارس عندما أطلق حزب الله صواريخ على شمال إسرائيل تضامنا مع إيران التي كانت تتعرض لهجوم إسرائيلي – أميركي. وردت إسرائيل بغزو بري للبنان، ما أدى إلى قتال أسفر حتى الآن عن مقتل أكثر من ثلاثة آلاف شخص وتشريد مئات الآلاف، وفقا للحكومة اللبنانية.

ويقول الجيش الإسرائيلي إن حملته الجوية في لبنان منذ وقف إطلاق النار لا تهدف إلى تهجير المدنيين بل إلى القضاء على تهديدات حزب الله، واتهم الجماعة بنشر قوات وأسلحة في المناطق المدنية.

وتواصلت رويترز مع مختارين (مسؤولين محليين) من 20 بلدة وقرية صدرت لها أوامر إخلاء إسرائيلية منذ وقف إطلاق النار، وهي تجمعات سكنية تراوح عدد سكانها قبل نشوب الحرب بين مئات وآلاف الأشخاص. وقدر معظمهم نسبة السكان المتبقين بأرقام فردية، قائلين إن معظمهم نزحوا شمالا أو إلى مدينتي صور وصيدا الساحليتين.

وقال علي نزال، وهو مختار في صريفا، إن القرية مهجورة تقريبا، وأشار إلى أن أعصاب الناس منهارة، ولم يعودوا قادرين على التحمل مما دفعهم إلى المغادرة، ووصف وقف إطلاق النار بأنه "كذبة".

الفاتيكان يكسر عقيدة القرون: لا حرب عادلة

الفاتيكان - ألقى بابا الفاتيكان بحجر ثقيل في بركة العقيدة السياسية والأخلاقية للكنيسة الكاثوليكية، معلنا نهاية حقبة دامت لقرون طويلة استندت إليها الأنظمة الغربية لتبرير خوض النزاعات المسلحة.

وفي أول وثيقة رئيسية، أصدرها يوم الاثنين، وقدم فيها أوضح اعتذار حتى الآن عن الدور التاريخي للكنيسة الكاثوليكية في دعم الرق عبر المحيط الأطلسي، قال البابا ليو إن نظرية "الحرب العادلة" التي تستغل في تبرير أي نوع من الحروب أصبحت بالية الآن.

وشدد في الوثيقة التي حملت عنوان "إنسانية رائعة" على ضرورة تجاوز هذه النظرية و"العمل بدلا من ذلك على تعزيز الحوار والدبلوماسية والمغفرة".

ويمثل هذا الموقف انقلابا جذريا في المفهوم اللاهوتي والسياسي الذي صاغه الفلاسفة والآباء الكبار للكنيسة، مثل القديس توما الأكويني والقديس أوجستين، والذين وضعوا أسس ما عُرف لقرون طويلة بنظرية "الحرب العادلة".

وقال الكاردينال بلاز كوبيتش، وهو حليف مقرب من البابا كان في الفاتيكان يحضر عرض الرسالة، إن البابا قلق من كيفية استغلال قادة العالم لهذه النظرية لتبرير شن حروب.

وأضاف كوبيتش "علينا أن نوضح أن نظرية الحرب العادلة كان الهدف منها دائما هو أن تكون رادعا، وليس ترخيصا يسيء البعض للأسف استخدامه لتبرير قراراتهم بشن حروب بدلا من البحث عن سبل السلام".

ويعكس هذا التحول الجريء إدراكا عميقا من جانب القيادة الروحية الكاثوليكية بأن استخدام القوة لم يعد يخضع للقواعد القديمة التي كانت تفترض إمكانية تحقيق التناسب بين الفعل ورد الفعل، أو حماية المدنيين والأبرياء في مسارح القتال الشاملة.

ويرى البابا أن مفهوم "الحرب العادلة" تحول بمرور الوقت إلى ذريعة سياسية تستغلها القوى العظمى لتبرير أجنداتها التوسعية ومصالحها الجيوسياسية على حساب دماء الشعوب الضعيفة والمستضعفة في الشرق والغرب على حد سواء.

وتتجاوز أهمية هذا التحول البابوي النطاق الكنسي الضيق لتمس البنية الفلسفية للقانون الدولي الإنساني، مفسحة المجال أمام نقاش عالمي جديد يتناول جدوى وهيكلية آليات فض النزاعات في العصر الحديث. يتطلع الفاتيكان من خلال هذا الموقف الصارم إلى بناء جبهة أخلاقية وإنسانية عريضة تضم مختلف الأديان والثقافات، بهدف الضغط على صناع القرار العالمي لوقف سباق التسلح المجنون والتوجه نحو الاستثمار في التنمية والعدالة الاجتماعية بدلاً من صب الزيت على نيران الحروب.

> مفهوم «الحرب العادلة» تحول بمرور الوقت إلى ذريعة سياسية تستغلها القوى العظمى لتبرير أجنداتها التوسعية

ومن المنتظر أن يواجه هذا الموقف البابوي تحديات وانتقادات واسعة داخل الأوساط السياسية والدبلوماسية المحافظة في الغرب، والتي ترى في نظرية "الحرب العادلة" أداة ردع ضرورية وقاعدة قانونية وأخلاقية لحماية نظمها.

واستنكر البابا في رسالته عدد الحروب التي تعصف بالعالم، وحذر من أن أرباح صناعة الأسلحة هي القوة الدافعة وراء الصراعات. وكانت نبرة البابا أكثر حدة في الشهور القليلة الماضية، وأثار غضب الرئيس الأميركي دونالد ترامب بعد انتقاده الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران.

واستشهد مسؤولو إدارة ترامب، ومن بينهم جيه.دي فانس نائب الرئيس، بنظرية الحرب العادلة لتبرير الحرب على إيران. وتنص النظرية عموما على أنه لا ينبغي شن حرب إلا لصد عدوان.

أرباح صناعة الأسلحة الدافع وراء الصراعات

خصوم واشنطن يستغلون «بيانات المواقع» لاستهداف جنودها

بيانات يمكن استخدامها لتحديد أماكن تجمع القوات الأميركية وأنماط حياتها

واشنطن - كشفت تقارير تلقاها مسؤولون عسكريون أنه تم استهداف قوات أميركية منتشرة في مناطق حروب باستخدام بيانات تحديد المواقع المتاحة لأغراض تجارية، في مؤشر على كيف يشكل اقتصاد المراقبة العالمي ساحات القتال.

هناك من يراقب

وذكرت القيادة المركزية الأميركية، في رسالة شاركها السناتور الديمقراطي رون وايدن عن ولاية أوريجون مع رويترز، أنها "تلقت العديد من التقارير عن تهديدات تتعلق باستغلال الخصوم لبيانات تحديد المواقع المتاحة لأغراض تجارية لاستهداف أو مراقبة أفراد القوات الأميركية في مناطق العمليات". ولم ترد في الرسالة، التي أرسلت في 14 أبريل، أي تفاصيل أخرى، لكن نطاق مسؤوليات القيادة المركزية يشمل منطقة الخليج، حيث تواجه القوات الأميركية الجيش الإيراني في مضيق هرمز.

وقال وايدن ومجموعة من المشرعين من الحزبين الديمقراطي والجمهوري في رسالة بعثوا بها الخميس إلى وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) إن هذا الكشف يعد أول تأكيد رسمي على استهداف قوات أميركية في منطقة حرب.

وحذرت الرسالة من أن "بيانات تحديد المواقع المتاحة لأغراض تجارية يمكن استخدامها لتحديد أماكن تجمع القوات الأميركية وأنماط حياتها، وهو ما قد يستغله الخصوم في شن هجمات بصواريخ وطائرات مسيرة وعبوات ناسفة على جوانب الطرق، وفي مكافحة التجسس أيضا".

وقال وايدن في بيان إن الوقت قد حان "للشروع في التعامل مع قطاع تكنولوجيا الإعلانات باعتباره تهديدا للأمن القومي".

ولم يرد البنتاغون على طلبات للتعليق. وذكر المشرعون في رسالتهم أن محاولات الحصول على معلومات إضافية من المسؤولين العسكريين عن تقارير الاستهداف هذه باءت بالفشل.

تستخدم بيانات تحديد المواقع على نطاق واسع في الإعلانات الرقمية، التي تعد مصدرا رئيسيا للإيرادات بالنسبة إلى الكثير من شركات التكنولوجيا. وعادة ما تُجمع هذه البيانات من الهواتف الذكية أو الأجهزة الأخرى بواسطة التطبيقات أو مزودي الخدمات قبل بيعها إلى وسطاء البيانات الذين يقومون بتجميعها وإعادة بيعها عبر شبكات معقدة من الوسطاء أحيانا.

ورغم أن تهديد الخصوصية الناجم عن بيع تفاصيل تحركات الأفراد اليومية في السوق المفتوحة كان موضع نقاش عام لفترة طويلة، فإن إمكان تحول هذه البيانات إلى تهديد للأمن القومي بدأ يثير القلق مؤخرا أيضا. ووفقا لتقرير نشرته صحيفة "وول ستريت جورنال" تمكنت إحدى شركات المقاولات الدفاعية الأميركية في عام 2016 من الاستفادة من بيانات تحديد المواقع المتاحة لأغراض تجارية لتتبع تحركات قوات العمليات الخاصة من قواعدها داخل الولايات المتحدة حتى نقطة انطلاق مهمة في سوريا.

ومؤخرا استعان صحافيون من مجلة "وايرد" واثنتان من وسائل الإعلام الألمانية بمليارات الإحداثيات، التي جمعتها إحدى شركات وساطة البيانات، لكشف تفاصيل دقيقة عن تحركات الأشخاص المتمركزين داخل 11 موقعا عسكريا ومخابراتيا أميركيا في ألمانيا أو خارجها.

> بيانات تحديد المواقع تُستخدم في الإعلانات الرقمية التي هي مصدر رئيسي للإيرادات بالنسبة إلى شركات التكنولوجيا

ولم ترد مجموعتان تمثلان شركات الإعلانات الرقمية، وهما مكتب الإعلانات التفاعلية ورابطة المعلنين الوطنيين، على رسائل في البريد الإلكتروني تطلب التعليق.

وجاء في الرسالة، التي وجهها المشرعون إلى البنتاغون، أن المسؤولين العسكريين كان عليهم التحرك بشكل أسرع لحماية أفراد القوات الأميركية بالنظر إلى علمهم بتجارة بيانات المواقع.

وأوضح المشرعون أن توفير الحماية كان ممكنا عبر خطوات مثل تعطيل معرفات الإعلانات المرفقة بالأجهزة العسكرية، وإيقاف خاصية مشاركة المواقع تلقائيا على الهواتف الذكية في ساحات المعارك، وتوجيه العاملين إلى تجنب استخدام متصفح غوغل كروم واستخدام بدائل تحمي الخصوصية بشكل أكبر.

وكان عضو مجلس النواب الأميركي عن ولاية نورث كارولاينا بات هاريجان، وهو جمهوري وضابط سابق في القوات الخاصة بالجيش الأميركي، من الموقعين على الرسالة.

وقال هاريجان إن متصفحات مثل كروم "مصممة في الأساس لجمع بيانات المستخدمين ومشاركتها"، وإن كل يوم تبقى فيه هذه المتصفحات على الأجهزة الحكومية "هو يوم آخر نمنح فيه خصومنا سلاحا ضد قواتنا".

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

هل انتهى زمن هيمنة العمالقة؟ ثورة «الجيل الثالث» تعيد الإنترنت لمستخدميه

من الاحتكار إلى التشاركية: كيف تضع التقنيات اللامركزية حدا للسيطرة التقنية؟

فضاء لا مركزي يملكه المستخدمون

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة فانسين باريس 8

هل تخيّلت يومًا أن تتصفّح شبكة معلوماتية عالمية لا تترصَّد فيها المعادلات الحسابية الخفية والأنظمة الذكية بكل نقرة من نقراتك؟ هل فكرت في فضاء رقمي لا تُحتكر فيه بياناتك الشخصية وسجلاتك الحيوية داخل خوادم مغلقة تملكها حفنة من الشركات العملاقة في معاقل الصناعة التقنية الغربية؟ إننا أمام مخاض الاستقلال الرقمي العظيم، فاليوم لسنا أمام مجرد تحديث تقني عابر، أو ترقية برمجية روتينية لواجهات المستخدم، بل نحن على أعتاب ثورة بنيوية كبرى تُعرف بـ"الجيل الثالث للشابكة"؛ وهي الحقبة التي تعد بإعادة السلطة والسيادة والملكية إلى المستخدمين، وتحويل الفضاء الرقمي من مساحة شاسعة للمشاهدة والمشاركة المجانية المحفوفة بمخاطر الاختراق، إلى بيئة ديمقراطية يمتلكها الجميع ويديرونها بأنفسهم، متحررين من سطوة المركزية الاحتكارية. وبذلك، ترتسم ملامح المعركة الكبرى التي تخوضها المعرفة الحرة ضد "الإقطاع التقني الحديث" الذي استنزف العقول والبيانات على مدار عقدين من الزمن.

من صنّاع محتوى إلى «سلع»؟

لفهم أهمية "الجيل الثالث"، يجب أن ندرك الأزمة التي نعيشها في ظل الجيل الحالي. إذ بدأ الإنترنت (الجيل الأول) كـ"دليل للقراءة فقط"، ثم تطور في الجيل الثاني ليسمح لنا بالتفاعل وصناعة المحتوى. إلا أن هذا التطور حمل "فخا هيكليا"، فبينما كنا نضخ ملايين الساعات من الإبداع، كانت الشركات الكبرى تبني إمبراطورياتها باحتكار بياناتنا وتسييلها عبر إعلانات موجهة بدقة مرعبة. ومن ثم، تحول المستخدم – دون وعي – من صانع للمحتوى إلى السلعة ذاتها، فأصبحت مشاعرنا، واهتماماتنا، وتحركاتنا أصولاً تملكها شركات مركزية عملاقة. لكن هذا الاحتكار لم يكتف بانتهاك الخصوصية، بل وضع المبدعين تحت رحمة "سياسات تعسفية"، حيث يمكن بضغطة زر واحدة حجب محتوى سنوات أو إغلاق منصات كاملة بقرار أحادي، دون أي محاسبة أو استئناف.

ركائز الجيل الثالث

تأتي الرؤية المستقبلية للجيل الثالث للشابكة لتقلب هذه المعادلة رأسا على عقب، مرتكزة على ثلاثة محاور أساسية تُشكل العمود القبلي للفضاء الرقمي القادم: أولا، في الجيل الثالث يأخذ تعزيز التخصيص الفردي الفائق بعدا مختلفا تماما عن المفهوم الحالي القائم على التجسس الرقمي.

> لم يعد المستخدم مجرد زائر عابر بل يمكنه أن يكون شريكاً مالكاً فيها. يتم تحقيق ذلك من خلال توزيع «الصكوك الرقمية المشفرة»

التخصيص هنا يعني أن الشبكة تتكيف مع احتياجاتك وهويتك بناءً على تفضيلاتك المخزنة في محفظتك الرقمية المشفرة التي تملك أنت وحدك مفتاحها الخاص وسلطة إدارتها. لن تضطر إلى إنشاء حسابات منفصلة بكلمات مرور مختلفة لكل موقع تزوره، ولن تترك خلفك "ملفات تتبع الأثر" التي تتلصص على خصوصيتك. هويتك الرقمية واحدة، محمية بالتشفير المتطور، وتنتقل معك من منصة إلى أخرى بكامل إرادتك، مع تحديد دقيق ومسبق للمعلومات التي تسمح للمنصة بالاطلاع عليها لتخصيص تجربتك، دون أن تمتلك تلك المنصة الحق في تخزين هذه البيانات أو بيعها لأطراف خارجية.

ثانيا: تمكين الملكية الجماعية الحقيقية، هو الحجر الزاوية في فلسفة الجيل الجديد. بفضل الأنظمة والاتفاقيات اللامركزية، ينتقل مفهوم الملكية من الإدارة المركزية الفردية إلى الإدارة الجماعية المشتركة. لم يعد المستخدم مجرد زائر عابر أو مستهلك للمنصة، بل يمكنه أن يكون شريكاً أصيلاً مالكاً فيها. يتم تحقيق ذلك من خلال توزيع "الصكوك الرقمية المشفرة" التي تمنح حامليها حقوق التصويت والملكية في المنصة. هذا التحول يعيد صياغة العلاقة بين المنصات والمستخدمين؛ فكلما ساهمت في إثراء الشبكة بمحتواك أو تفاعلك، زادت حصتك من الملكية والأرباح، مما يخلق بيئة تعاونية تكافلية تقضي تماماً على فكرة الوسيط المستغل وتوزع الثروة الرقمية بعدالة.

وثالثا، تطوير آليات مشاركة واستحقاق المحتوى، حيث يذهب الجزء الأكبر من العوائد الإعلانية لصالح المنصات المستضيفة في العالم الرقمي الحالي، بينما يحصل صانع المحتوى الأصلي على الفتات. بالمقابل، يعيد الجيل الثالث هندسة هذا النموذج ماليًا وفنيًا؛ حيث تتيح البنية التحتية الجديدة للمبدعين بيع أعمالهم ومشاركتها مباشرة مع جمهورهم عبر العقود الذكية المبرمجة والصكوك الفريدة غير القابلة للاستبدال. وهذا يعني أن القيمة المالية تنتقل مباشرة من المستهلك إلى الصانع دون وجود وسيط يقتطع نسباً فلكية، ودون الحاجة إلى المصارف التقليدية أو بوابات الدفع المركزية التي قد تفرض قيوداً جغرافية أو سياسية على تدفق الأموال، مما يضمن تدفقا ماليا حرا عابرا للحدود والقيود المصرفية التقليدية.

منظومة التوثيق التشاركي

لا يمكن لهذه البيئة الرقمية العادلة أن تتحقق دون أساس تقني صلب، وهنا يأتي دور تكنولوجيا "منظومة التوثيق التشاركي الموزع" (المعرفة عالميا بسلسلة الكتل) باعتبارها المحرك النفاث للجيل الثالث. إنها التقنية ذاتها التي بدأت بالعملات الرقمية المشفرة، لكن استخداماتها اليوم تمتد لتشمل البنية التحتية للشابكة بالكامل. ومن ثم، فإن هذه المنظومة في جوهرها عبارة عن دفتر سجلات رقمي عام، موزع، ومشفر بشكل يستحيل اختراقه أو تزويره. إذ بدلاً من تخزين بيانات الموقع الإلكتروني أو المنصة على خادم مركزي واحد تملكه شركة عملاقة، يتم تفكيك هذه البيانات وتشفيرها وتوزيعها عبر شبكة عالمية ضخمة تتكون من آلاف الحواسيب المستقلة والموزعة حول العالم، والتي تسمى "العُقد التشاركية". إذ يحقق هذا التوزيع اللامركزي نتائج ثورية لصالح أصحاب المواقع والمستخدمين على حد سواء:

حصانة ضد الأعطال والانهيارات: في النظام المركزي الحالي، إذا تعرض خادم الشركة الاحتكارية لعطل فني أو هجوم سيبراني، تتوقف ملايين المواقع المرتبطة به عن العمل حول العالم. أما في الجيل الثالث، فمن المستحيل تدمير الشبكة أو إيقافها، لأنها لا تملك نقطة مركزية واحدة للانهيار. إذا تعطلت مئات الحواسيب في الشبكة، تظل آلاف الحواسيب الأخرى تعمل وتضمن استمرار تدفق البيانات بكفاءة ودون انقطاع.

إنهاء عصر الرقابة وحجب الخدمة: لن تملك أي حكومة أو مؤسسة احتكارية القدرة على إغلاق موقع إلكتروني أو حظر محتوى معين بجرة قلم؛ فالبيانات موزعة ومحمية بقوانين الرياضيات والتشفير، وليس بأهواء السياسة أو مصالح الشركات. ذلك أن المواقع القائمة على التوزيع اللامركزي تكتسب حصانة مطلقة ضد الرقابة التعسفية، مما يفتح الباب لتدفق حر وغير مشروط للمعارف والأفكار عبر الحدود.

حكومات المستقبل الرقمي

واحدة من أكثر الأفكار إثارة في مظلة الجيل الجديد هي ظهور ما يُعرف بـ"المنظمات المستقلة الموزعة". وهي تجسيد عملي لكيفية إدارة الشركات والمنصات في المستقبل دون الحاجة إلى مدير تنفيذي أو مجلس إدارة تقليدي يحتكر القرار ويتلاعب بمصائر المستخدمين. حيث تُدار هذه المنظمات بالكامل عبر "العقود الذكية المبرمجة"، كما أنها عبارة عن بروتوكولات حاسوبية مشفرة تنفذ الشروط والأحكام تلقائياً بمجرد استيفائها، دون أي تدخل بشري. وعندما يريد مجتمع المنصة اتخاذ قرار بشأن تحديث معين، أو تخصيص ميزانية مالية، أو تغيير سياسة النشر، يتم طرح القرار للتصويت الرقمي العام. وبالتالي، يحق لكل مستخدم يملك صكوكاً رقمية خاصة بهذه المنظمة التصويت بناءً على حجم مساهمته الفعالة. ميزة هذا النموذج أنه يقضي تماماً على الفساد الإداري، والقرارات الفوقية المفاجئة، ويضمن شفافية مطلقة؛ فكل سطر برمجي، وكل حركة مالية، وكل صوت انتخابي مسجل بشكل دائم على منظومة التوثيق التشاركي ومتاح للعلن للاطلاع عليه في أي وقت. إنه نقلة نوعية تحول المستخدم من مجرد رقم هامشي في قاعدة بيانات صماء إلى شريك حقيقي في صياغة دستور المنصة الرقمية التي يقضي فيها وقته ومجهوده الإبداعي.

الهوية الرقمية السيادية

علاوة على ما تقدم، يُحدث الجيل الثالث ثورة غير مسبوقة في مفهوم "الهوية الرقمية السيادية". فإذا كان المستخدم مجبر على تسليم وثائقه الرسمية، وصوره الشخصية، وبياناته الحيوية الحساسة كبصمات الوجه والعين في الوقت الحالي إلى خوادم مركزية تابعة لجهات خارجية لتوثيق حسابه والتأكد من هويته الفردية في المنظومة التقليدية الحالية، فإن هذا الأسلوب العقيم يجعل الهويات عرضة للاختراق والسرقة والبيع في الأسواق السوداء وشبكات الجريمة المنظمة. أما الفلسفة الحمائية للجيل الجديد فتقوم على تشفير الهوية بشكل ذاتي كامل؛ إذ يستطيع المستخدم إثبات أهليته القانونية، أو عمره، أو جنسيته لأي موقع تفاعلي دون الحاجة إلى كشف وثيقته الأصلية أو مشاركة بياناته المفصلة. ويتم ذلك عبر أدلة رياضية مشفرة تؤكد صحة المعلومة دون إظهار تفاصيلها الحيوية، مما يحقق أعلى درجات الأمان الممكنة وينهي وإلى الأبد ظاهرة انتحال الشخصية والقرصنة الهيكلية التي تؤرق المجتمعات الحديثة وتكلف الاقتصادات العالمية مليارات الدولارات سنوياً.

الجغرافيا السياسية للشبكة

من الأبعاد الهامة التي يجب تسليط الضوء عليها عند مناقشة الجيل الثالث للشابكة هو البعد الجيوسياسي، والفجوة الرقمية الآخذة في الاتساع بين دول الشمال المتقدم ودول الجنوب النامي. فالشبكة الحالية في جوهرها تخضع لهيمنة مراكز القوى الغربية التي تمتلك البنية التحتية الأساسية والعمود الفقري للألياف الضوئية العابرة للمحيطات ومراكز البيانات العملاقة. لكن هذا الوضع يمنح تلك الدول سلطة غير معلنة في فرض وصايتها المعرفية والثقافية والسياسية على بقية شعوب الأرض.

وهنا يقدم الجيل الثالث فرصة تاريخية لدول الجنوب النامي لكسر هذه التبعية التقنية وتحقيق سيادتها المعرفية، بل إنه من خلال بناء عُقد تشاركية محلية مستقلة، يمكن لهذه الدول والمنظمات الأكاديمية والمجتمعية فيها تحرير بياناتها ومحتواها الثقافي والتاريخي من خوادم السيطرة الخارجية.

> لا يمكن لهذه البيئة الرقمية العادلة أن تتحقق دون أساس تقني صلب وهنا يأتي دور تكنولوجيا «منظومة التوثيق التشاركي»

بيد أن هذا التحول يستلزم بالضرورة استثمارات ضخمة في البنية التحتية للطاقة والاتصالات المحلية، وتأهيل الكوادر البشرية القادرة على التعامل مع لغات البرمجة اللامركزية. لذلك، إن لم تدرك دول الجنوب هذه الفرصة وتتحرك سريعاً، فإن الجيل الثالث قد يتحول بدوره إلى أداة جديدة من أدوات التهميش الرقمي، بدلاً من أن يكون وسيلة للتحرر وتحقيق العدالة المعرفية بين الشعوب.

التحديات والعقبات

رغم الطموح الثوري، يواجه التحول نحو "الجيل الثالث" تحديات هيكلية لا يمكن تجاهلها، تشبه في تعقيدها إعادة بناء مدينة ضخمة دون إيقاف الحركة فيها. تبرز أولى هذه العقبات في تجربة المستخدم؛ إذ لا تزال تطبيقات الويب 3 تتطلب خبرة تقنية تتجاوز مهارات المستخدم العادي، كما أن مخاطر ضياع "المفاتيح السرية" للمحافظ الرقمية (التي لا توفر خيارات استعادة كلمة المرور التقليدية) تشكل حاجزاً نفسياً أمام التبني الجماهيري الواسع.

تقنياً، تعاني الشبكات الموزعة من تحديات السرعة والتوسع؛ فآليات التحقق من البيانات عبر آلاف الحواسيب تجعلها أبطأ وأكثر تكلفة مقارنة بالخوادم المركزية السريعة. ورغم وجود حلول برمجية واعدة لزيادة كفاءة هذه الشبكات، إلا أن المعركة التقنية لمضاهاة سرعة الأنظمة الحالية لا تزال في أوجها. أما العقبة الأبرز فهي الفوضى التنظيمية، إذ تنظر الحكومات والمؤسسات المالية إلى النظام اللامركزي كتهديد لنفوذها وسيادتها، مما قد يدفعها إلى فرض قيود صارمة بذريعة الأمن الوطني أو حماية المستهلك. ويبقى التحدي الحقيقي هنا في إيجاد معادلة توازن مرنة: تضمن حماية المستخدمين قانونياً، دون أن تقتل روح الابتكار والحرية التي قام عليها الجيل الثالث.

فجر الحقبة الرقمية العادلة

في المحصلة النهائية، لا يمكننا اختزال "الجيل الثالث للشابكة" في كونه مجرد موجة تكنولوجية جديدة أو صيحة مؤقتة في عالم البرمجيات والتقنيات المعاصرة، بل هو إعادة صياغة شاملة للعقد الاجتماعي والتقني والأخلاقي الذي يربط الإنسان بالفضاء الافتراضي المعاصر. إنه يمثل في آخر المطاف، الانتقال الحتمي والتاريخي من مركزية الاستحواذ الرأسمالي التقني إلى لامركزية التوزيع المعرفي، ومن ثقافة الاحتكار الرقمي الفئوي إلى فلسفة التمكين المشترك والسيادة الفردية المطلقة للمستخدمين. إن هذا التحول الجذري يعني باختصار، فضاء رقميا أكثر عدالة، وأمانا، وحرية، حيث يعود الحق لأصحابه، ويصبح صانع المحتوى والمستخدم العادي هما المالكين الفعليين للمساحة الافتراضية التي يملآنها بإبداعهما وحيويتهما ونشاطهما اليومي، بدلاً من أن يكونا مجرد أرقام إحصائية وجداول أرباح صماء في ميزانيات الشركات العابرة للقارات والحدود السياسية.

قد يبدو الطريق نحو التبني الكامل والشامل لهذا الجيل طويلا ومليئا بالعقبات التقنية والتشريعية والجيوسياسية المعقدة، وقد يستغرق الانتقال الشامل والكامل سنوات طوال من التطوير والتجربة والمراجعة والتعديل الفني. لكن قطار التوزيع المشترك والسيادة اللامركزية قد انطلق بالفعل من محطته الأولى، ومن المستحيل تدميره أو إيقافه أو إعادته إلى الوراء بأي شكل من الأشكال؛ فالوعي الإنساني المعاصر بأهمية الخصوصية والسيادة الرقمية قد وصل بالفعل إلى نقطة اللاعودة. إننا نتحرك بخطى ثابتة ومدروسة نحو فضاء معرفي وإنساني جديد، فجر حقبة واعدة ترفع شعارا واحدا ينهي أساطير الاحتكار القديمة ويمهد لعدالة حتمية: "عصر يملك فيه الجميع كل شيء، ولا يملك فيه أحد الجميع".

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

الاستثمار في الوقود الأحفوري يفقد قوة الدفع بفعل الصدمات

معظم الإنفاق العالمي سيتجه إلى شبكات الكهرباء والتخزين والوقود النظيف والطاقتين النووية والمتجددة ووسائل النقل الكهربائية

تتسارع التحولات في أسواق الطاقة العالمية بفعل التوترات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما سيؤدي إلى تراجع الاستثمارات النفطية لصالح الغاز الطبيعي ومصادر الطاقة البديلة، وسط توقعات باستمرار هذا الاتجاه للعام الثالث على التوالي.

باريس - تدفع الاضطرابات الجيوسياسية المتصاعدة في الشرق الأوسط بأسواق الطاقة العالمية إلى مرحلة غير مسبوقة من التحول، مع إعادة رسم خارطة الاستثمارات وتبدل أولويات الدول والشركات الكبرى.

وفي ظل صدمات الإمدادات وارتفاع المخاطر المرتبطة بممرات النقل الحيوية، لم يعد النفط يحظى بنفس الجاذبية الاستثمارية، مقابل صعود لافت في الاهتمام بمصادر الطاقة البديلة والغاز الطبيعي.

ويعكس هذا التحول توجها أوسع نحو بناء منظومة طاقة أكثر تنوعا ومرونة، قادرة على التكيف مع الأزمات المتكررة التي باتت سمة أساسية في المشهد العالمي.

وتتوقع وكالة الطاقة الدولية استمرار تراجع الاستثمارات العالمية في مشاريع النفط للعام الثالث على التوالي، وسط ضبابية الأسواق نتيجة التوترات في الشرق الأوسط وشلل الحركة في مضيق هرمز، الذي يعتبر ممر الملاحة الحيوي الذي يربط المنطقة بالعالم.

وذكرت في تقرير عن استثمارات الطاقة العالمية الصادر الخميس أنه رغم ارتفاع أسعار النفط فقد ينخفض الإنفاق في مشاريع النفط إلى أقل من 500 مليار دولار خلال العام الحالي.

وتظهر التقديرات أن الاستثمار في الوقود الأحفوري وصل في عام 2025 إلى 570 مليار دولار، وهو مستوى يقل قليلًا عن عام 2024 حين بلغ قرابة 600 مليار دولار.

فاتح بيرول

نشهد جهودا مكثفة لتنويع طرق التجارة ومصادر الطاقة

ومع ذلك من المرجح ارتفاع الإنفاق على مشاريع الغاز الطبيعي في العالم إلى 330 مليار دولار، وهو أعلى مستوى له في عقد من الزمن، مدعوما بموجة من مشاريع التصدير الجديدة، وخاصة في الولايات المتحدة وقطر.

وسبق أن أفادت الوكالة بأن العالم في حاجة إلى إنفاق سنوي ثابت بمعدل يقارب 540 مليار دولار في أنشطة التنقيب عن النفط والغاز للحفاظ على مستويات الإنتاج الحالية حتى عام 2050.

وقال المدير التنفيذي للوكالة، فاتح بيرول، في بيان "نحن في خضم أكبر أزمة أمن طاقة واجهها العالم على الإطلاق، وأعتقد أن هذا سيعيد تشكيل إستراتيجيات الاستثمار عالميا".

وأضاف "نشهد بالفعل جهودا مكثفة من جانب كل من الدول المنتجة والمستهلكة لتنويع طرق التجارة ومصادر الطاقة".

وعلى الرغم من الأزمات المتتالية قد يساعد الطلب العالمي على زيادة استثمارات الطاقة الإجمالية في العالم بكل أنواعها خلال العام الحالي بنسبة بسيطة تصل إلى 3.4 تريليون دولار.

وتصب الاحتمالات في توجيه معظم هذه الاستثمارات إلى مشاريع شبكات الكهرباء وتخزين الطاقة والوقود منخفض الانبعاثات، إلى جانب الطاقة النووية والطاقة المتجددة ووسائل النقل الكهربائية.

وفي الوقت نفسه تبحث الدول المستوردة للنفط، وهي عادة اقتصادات محدودة الدخل وتفتقد إلى الموارد أو ذات قدرة عالية من الطلب كالصين، حاليا عن مصادر طاقة محلية، لاسيما الطاقة المتجددة والطاقة النووية والفحم.

وقد أدت صدمة الإمدادات الناتجة عن الحرب الأميركية – الإسرائيلية ضد إيران في الشرق الأوسط إلى إعطاء الأولوية لإيجاد طرق تجارة جديدة ولمصادر الطاقة الأخرى.

وتشهد أسواق النفط اضطرابات منذ نشوب هذه الأزمة في أواخر فبراير الماضي، والتي أدت فعليا إلى إغلاق مضيق هرمز، الذي كان يمر عبره خمس النفط الخام المنقول بحرا في العالم.

وتسببت هذه المشكلة في ارتفاع الأسعار ونقص الإمدادات في عدة مناطق من العالم، وهو ما أجبر الشركات والدول على إعادة النظر في إستراتيجياتها الاستثمارية في مجال الطاقة.

وقفزت أسعار النفط بأكثر من اثنين في المئة الخميس بعد أن أعلن الحرس الثوري الإيراني أنه استهدف قاعدة جوية أميركية ردا على هجوم أميركي بالقرب من مطار بندر عباس.

وارتفعت العقود الآجلة لخام برنت في التعاملات الصباحية بواقع 2.34 دولار، أو 2.48 في المئة، إلى 96.63 دولار للبرميل، في حين ارتفع عقد أغسطس الأكثر تداولا 2.24 دولار، أو 2.43 في المئة، إلى 94.49 دولار.

ومن المقرر أن تنتهي صلاحية عقد يوليو اليوم الجمعة. وزادت العقود الآجلة لخام غرب تكساس الوسيط الأميركي 2.26 دولار، أو 2.55 في المئة، إلى 90.94 دولار.

ونسبت وكالة رويترز إلى سيمون بيتر ماسابني مدير تطوير الأعمال في موقع إكس.أس دوت كوم قوله "يظهر ارتفاع أسعار النفط هشاشة وضع الاسلم واللاحرب الراهن بين الولايات المتحدة وإيران".

وأضاف "بينما لا تزال السوق متشبثة بأمل اقتراب الصراع من نهايته، يشير تزايد وتيرة المناوشات بين الجانبين، إلى جانب الإحباط الواضح الذي يبديه (الرئيس الأميركي) دونالد ترامب، إلى احتمال استمرار هذا الصراع. وبالتالي سيبقى هرمز مغلقا على الأرجح".

وفي الشرق الأوسط أدت الحرب إلى انخفاض عائدات التصدير، وخاصة العراق والكويت، ودفع ذلك حكومات المنطقة إلى البحث عن طرق تصدير جديدة، إذ اهتزت الثقة في حرية الملاحة بمضيق هرمز بشدة.

عمال في أحد حقول النفط في العراق

500

مليار دولار حجم الاستثمارات المتوقعة هذا العام انخفاضا من 570 مليار دولار في 2025

كما أن عشرات المليارات من الدولارات اللازمة لإصلاح المنشآت "قد تقلل تدفقات رأس المال إلى الخارج، والتي كانت مصدرا متزايدا لتمويل مشاريع البنية التحتية والطاقة في مناطق أخرى"، وفق الوكالة.

ولا يقتصر التعطل الحالي على النفط الخام والغاز المسال فحسب، بل امتد ليشمل أسواق الوقود. وتسببت الحرب في تعطيل إنتاج وتصدير ملايين البراميل من الوقود يوميا من مصافي التكرير في الخليج، مما تسبب في نقص وقود الطائرات والديزل.

وتشكل مصافي التكرير الضخمة التي تأسست في منطقة الخليج في العقود القليلة الماضية مصدرا أساسيا لإمدادات الوقود العالمية، إذ ترسل وقود الطائرات على سبيل المثال إلى أفريقيا وأوروبا وآسيا.

أثرياء العالم يقلصون انكشاف محافظهم على العملة الأميركية

زيورخ (سويسرا) - بدأت ملامح تغير لافت في سلوك كبار المستثمرين وأصحاب الثروات حول العالم، مع تراجع جاذبية الدولار كملاذ تقليدي آمن في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها الاقتصاد العالمي.

ومع تصاعد التوترات الجيوسياسية، وتقلبات السياسات النقدية، وارتفاع مستويات الدين في الولايات المتحدة، يتجه الأثرياء بشكل متزايد إلى إعادة هيكلة محافظهم الاستثمارية، عبر تقليص انكشافهم على العملة الأميركية والبحث عن بدائل أكثر تنوعا واستقرارا.

وهذا التحول لا يعكس مجرد تحركات تكتيكية قصيرة الأجل، بل يؤشر إلى إعادة تقييم أعمق لمكانة الدولار في النظام المالي العالمي، ويفتح الباب أمام مرحلة جديدة من توزيع الثروات والاستثمارات على نطاق دولي.

وأفاد بنك يو.بي.أس السويسري في تقرير نُشر الخميس بأن أغنى عائلات العالم تُقلّص استثماراتها بالدولار الأميركي، في ظلّ تصاعد التوترات الجيوسياسية وارتفاع الديون السيادية، ما يدفعها إلى إعادة النظر في إدارة مخاطر محافظها الاستثمارية.

وخلص البنك في مسح حديث إلى أن نحو ثلثي مكاتب إدارة الثروات العائلية التي شملها الاستطلاع تتوقع تراجع الثقة بالدولار كعملة احتياطية خلال العام الحالي.

وقد أُجري الاستطلاع الذي شمل 307 متعاملين حول العالم، وبلغ متوسط صافي ثروة العائلات المشاركة 2.7 مليار دولار، بين يناير وأواخر مارس، قبل أن يبدأ الدولار في التفوق على العديد من العملات الأخرى.

والخميس ارتفع مؤشر الدولار، الذي يقيس أداء العملة الأميركية مقابل ست عملات رئيسية، بواقع 0.13 في المئة إلى 99.426، مقتربا من أعلى مستوى له منذ أسبوع.

وبحسب نتائج المسح، أدى انخفاض قيمة الدولار في العام الذي سبق إجراء الاستطلاع إلى دفع العديد من مكاتب إدارة الثروات العائلية إلى مراجعة محافظها الاستثمارية.

وقد خلص ما يقرب من نصفها إلى أنها تفرط في الاعتماد على العملة الأميركية في مختلف فئات الأصول، وفقًا لما ذكره ماكسيميليان كونكل، الإستراتيجي في يو.بي.أس.

ووجد البنك السويسري أن خطط تقليص الاستثمار في الأصول المقومة بالدولار تعكس إعادة نظر أوسع في المحافظ الاستثمارية التي تركز على الولايات المتحدة.

وتخطط مكاتب إدارة الثروات العائلية لإضافة أسهم الأسواق الناشئة والبنية التحتية، مع تقليص حيازاتها العقارية.

وقال بنجامين كافالي، المدير التنفيذي في يو.بي.أس، "للمرة الأولى، نشعر أن مكاتب إدارة الثروات العائلية ترغب في التوسع في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وإلى حد ما، في أوروبا الغربية أيضا".

وأضاف "هذا يؤثر بشكل رئيسي على مكاتب إدارة الثروات العائلية خارج الولايات المتحدة، لكننا نرى أيضا".

ماكسيميليان كونكل

قرابة نصف الأثرياء قاموا بإبعاد أصولهم عن الدولار

وتكتسب تحركات أثرياء العالم أهمية مضاعفة بالنظر إلى الحجم الهائل للثروات التي يديرونها، إذ تُقدَّر ثروات المليارديرات وحدهم بما يتراوح بين 12 و15 تريليون دولار.

وتشير التقديرات إلى أن الثروات الخاصة العالمية للأفراد تتجاوز حاجز 450 تريليون دولار، تستحوذ الشريحة الأعلى ثراءً على نحو نصفها تقريباً.

ويعني ذلك أن أي تحول في إستراتيجيات هذه الفئة، سواء عبر تقليص الانكشاف على الدولار أو إعادة توزيع الأصول جغرافيا وقطاعيا، يمكن أن ينعكس بشكل مباشر على تدفقات رؤوس الأموال والأسواق المالية العالمية، بل وقد يعيد تشكيل موازين القوى في النظام الاقتصادي الدولي.

وأوضح يو.بي.أس أن الصراع الجيوسياسي بات الآن الشغل الشاغل بفارق كبير، مما يدفع مكاتب إدارة الثروات العائلية إلى الجمع بين تغييرات توزيع الأصول وإستراتيجيات التوسع الجغرافي. وأشار إلى أن التوسع الجغرافي يشمل إنشاء أنشطة لمكاتب إدارة الثروات العائلية في مختلف المناطق.

ثلثا مكاتب إدارة الثروات العائلية التي شملها مسح يو.بي.أس تتوقع تراجع الثقة بالدولار كعملة احتياطية خلال 2026

ازدهار الذكاء الاصطناعي يتحول إلى معضلة للمستثمرين الأفراد

لندن - يمكن تشبيه الرهانات التي تخوضها شركات التكنولوجيا العملاقة بما يحدث على ألعاب الحظ، حيث يُوضع رأس مال هائل على احتمال واحد قد يغير كل شيء، في إشارة إلى المراهنة الضخمة على الذكاء الاصطناعي باعتباره المحرك القادم للاقتصاد العالمي.

وكشفت ملفات إفصاح قُدمت أواخر أبريل أن أربعا من أكبر شركات التكنولوجيا في العالم تخطط لإنفاق إجمالي يبلغ 725 مليار دولار على النفقات الرأسمالية خلال 2026 فقط، في سباق غير مسبوق لتوسيع البنية التحتية الرقمية، خاصة مراكز البيانات والرقائق.

وقدّر الرئيس التنفيذي لشركة أوبن أي.آي سام ألتمان أن ميزانية مراكز البيانات التابعة لشركته قد تصل إلى 600 مليار دولار بحلول عام 2030.

ولا يقتصر هذا الإنفاق الضخم على الرغبة في النمو فقط، بل يعكس طبيعة التحول العميق في الصناعة، إذ يتطلب تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي المتقدمة وتشغيلها كميات هائلة من قدرات الحوسبة.

وبالتوازي مع ذلك يدفع الطابع التنافسي للقطاع الشركات إلى تسريع التوسع بشكل مستمر، في ظل ما يشبه سباق تسلح تقني عالميا.

وحتى وقت قريب كان الاستخدام الأساسي للذكاء الاصطناعي يتركز في روبوتات المحادثة الموجهة للمستهلكين، والتي أتيحت في معظمها مجانا.

وأثار ذلك تساؤلات حول كيفية تمكن عمالقة التكنولوجيا والشركات الناشئة ذات التقييمات المرتفعة من تحقيق عوائد تغطي هذا الحجم من الاستثمارات.

لكن هذا المشهد بدأ يتغير هذا العام مع صعود "وكلاء الذكاء الاصطناعي" وأدوات البرمجة الذكية، ما دفع حجم الإنفاق العالمي على هذا المجال إلى نحو 37 مليار دولار خلال 2025، بحسب تقديرات شركة الاستثمار التكنولوجي مينلو فنتشرز.

ورغم هذا النمو السريع في الاستثمار، لا يزال الغموض يحيط بمسألة العائد الفعلي، خصوصا بعد مرور ثلاث سنوات على الانطلاقة الواسعة لظاهرة تشات جي.بي.تي.

ويبقى السؤال مفتوحا حول ما إذا كان هذا الإنفاق غير المسبوق سيترجم إلى نموذج اقتصادي مستدام أم أنه يمثل بداية فقاعة استثمارية جديدة.

وفي الأسواق المالية يشارك المستثمرون الأفراد بشكل واسع في هذه الموجة، مع حقيقة أن نحو ثلث مؤشر أس آند بي 500 يتكون من أسهم شركات التكنولوجيا العملاقة، ما جعل أداء الأسواق مرتبطا بمسار هذا القطاع.

وقد انعكس ذلك في ارتفاع مؤشر ناسداك بنحو 40 في المئة خلال العام الماضي، مدعوما بأسهم مرتبطة بالذكاء الاصطناعي.

لكن في المقابل بدأت تظهر إشارات تثير الحذر لدى بعض المستثمرين، من بينها تراجع سهم ميتا بلاتفورمز بعد إعلانها عن مستويات إنفاق مرتفعة على الذكاء الاصطناعي في أبريل الماضي، ما يعكس حساسية الأسواق تجاه حجم هذه الاستثمارات.

ويشير محللون إلى تطور أشكال تمويل داخلية متداخلة بين شركات القطاع، حيث تستثمر بعض الشركات ضمن منظومة مترابطة، كما يحدث عندما تستثمر إنفيديا في أوبن أي.آي.

725

مليار دولار حجم الإنفاق الاستثماري للشركات على التقنيات المتقدمة خلال العام الحالي

وعندما تعود أوبن أي.آي وتنفق بدورها مبالغ ضخمة على منتجات إنفيديا، تولد دورة مالية مغلقة نسبيا قد تزيد من هشاشة النظام في حال تعرض أحد أجزائه للضغط.

ومع هذا التشابك المتزايد تبرز توقعات بطرح عام مرتقب لكل من أوبن أي.آي وأنثروبيك في الفترة المقبلة، ما قد يرفع قيمتهما معا إلى قرابة 1.9 تريليون دولار.

ومن المرجح أن يحقق هذا الاتجاه مكاسب ضخمة للمؤسسين والمستثمرين الأوائل، لكنه قد يضع المستثمرين الجدد أمام أسعار دخول مرتفعة ومخاطر أكبر.

ويعتمد مستقبل هذه الشركات إلى حد كبير على قدرتها على الحفاظ على معدلات النمو المرتفعة التي حققتها حتى الآن.

وتشير بيانات إلى أن أوبن أي.آي تحقق حاليا إيرادات سنوية تقارب 25 مليار دولار، مع طموحات للوصول إلى 280 مليار دولار بحلول 2030، وهو ما يتطلب توسعا كبيرا في قطاع الشركات والمؤسسات.

ورغم ذلك لا تزال حالات الاستخدام داخل المؤسسات محدودة نسبيا، إذ يتركز الاعتماد على تطبيقات مثل خدمة المتعاملين أو كتابة البرمجيات.

ويفسر هذا الوضع بروز بعض الصفقات الكبرى مثل استحواذ سبيس إكس على شركة كورسر المتخصصة في أدوات البرمجة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي.

المستقبل مليء بالمطبات

كيف تتعلم الصحافة الدروس من صناعة الموسيقى في تعاملها مع الذكاء الاصطناعي

قبل فوات الأوان.. قطاع الأخبار ينتفض لوضع حد للاستغلال المجاني لبياناته

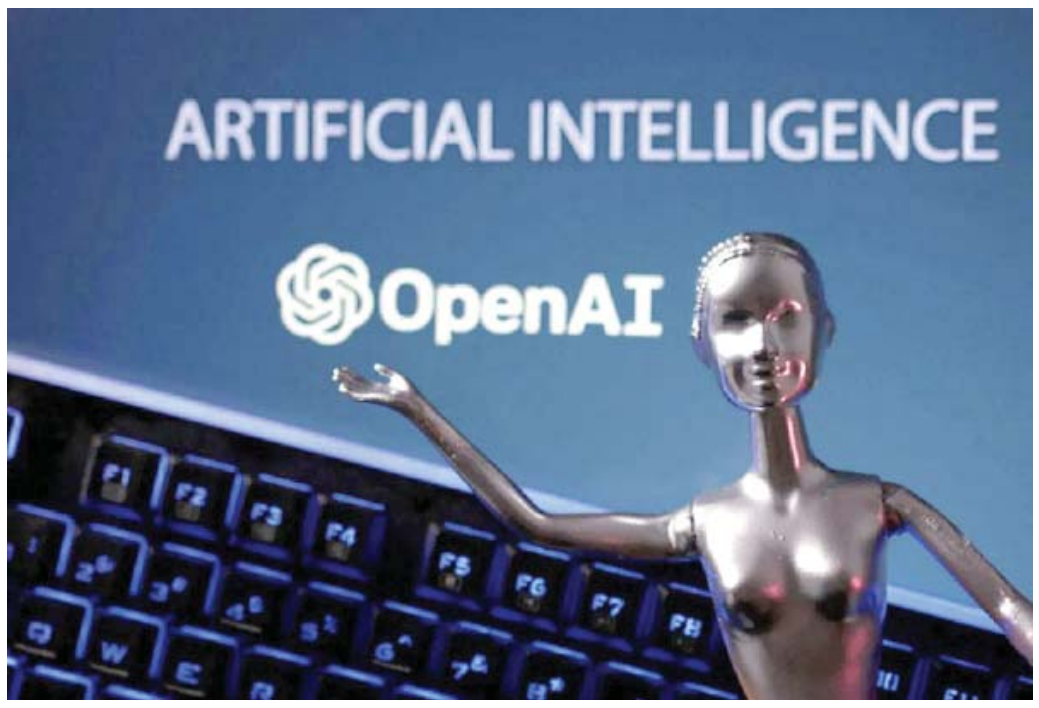

المستخدمون يلجأون إلى الذكاء الاصطناعي للحصول على معلومات أكثر من إنتاج المحتوى

من التراخيص الجماعية إلى التحالفات الكبرى، يبحث ناشرو الأخبار والمنظمات غير الربحية والشركات الناشئة عن سبل للتفاوض مع شركات التكنولوجيا العملاقة من موقع قوة.

واشنطن - في ما يتعلق بشركات الذكاء الاصطناعي يختار الناشرون أحد الخيارين؛ التوقيع أو المقاضاة، أو أحيانًا كليهما.

تتراكم إعلانات التراخيص، وغالبًا ما تُبرم صفقات فردية من قبل ناشرين كبار، مثل وكالة أسوشيتد برس الأميركية، وأكسل شبرينغر الألمانية، وبريسا ميديا الإسبانية، ولوموند الفرنسية. لكن الدعاوى القضائية تتزايد أيضا، وإن بوتيرة أبطأ، حيث تتهم شركات الأخبار المنصات باستخدام مواد محمية بحقوق الطبع والنشر دون إذن.

ومع ذلك، ظهر مؤخرا نهج ثالث: يتكاتف الناشرون للتفاوض مع شركات الذكاء الاصطناعي بدلاً من مواجهتها منفردين. ويتجلى هذا في مبادرات تتراوح بين تحالفات عالمية لوضع المعايير ومنظمات تفاوض وطنية.

في تقرير نشرته مؤسسة رويترز لدراسة الصحافة، سلطت الباحثة مارينا أدامي الضوء على هذه الجهود الجماعية، التي تتراوح بين وضع معايير تقنية مشتركة وإنشاء منظمات لإدارة الحقوق الجماعية. يرى الخبراء أن "العقد الضمني" للإنترنت -الذي كان يسمح باستخدام محدود للمحتوى مقابل إعادة توجيه الزيارات- قد انهار مع الذكاء الاصطناعي.

تشير أبحاث المعهد لعام 2025 إلى أن المستخدمين يلجأون إلى الذكاء الاصطناعي للحصول على معلومات أكثر من إنتاج المحتوى. ولا يزال الاستخدام المباشر للأخبار محدودا، إلا أن استفسارات يومية -من نصائح السفر إلى الأحداث العالمية- تحل محل عمليات البحث التقليدية على غوغل، مما يقلل من حركة المرور والإيرادات الإعلانية.

وأدى إطلاق "نظرة عامة بالذكاء الاصطناعي" من غوغل في مايو 2024 إلى زيادة نتائج البحث التي لا تتطلب النقر على المواقع، وفق بيانات سميلارويب الأميركية. ويؤكد بحث المعهد أن ثلث المستخدمين فقط ينقرون بانتظام على الروابط المصدرية في إجابات الذكاء الاصطناعي، بينما 28 في المئة نادرا ما يفعلون ذلك أو لا يفعلون.

قال دوغ ليدز، المؤسس المشارك لـ"ريلي سامبل ليسيسنغ" (RSL)، إن الذكاء الاصطناعي يسمح للشركات باستبدال المحتوى الأصلي بمنتجاتها الخاصة، مما يهدد الإيرادات من الاشتراكات والإعلانات. ووصف مادهاف تشينابا، المستشار السابق في غوغل، رد فعل الصناعة بـ"الخوف" الذي يدفع نحو صفقات فردية سريعة مع أوبن.إيه. آي. أو الدعاوى القضائية.

ويقارن ديفيد باتل، المستشار السابق في فايننشيال تايمز، الوضع بصناعة الموسيقى التي نجحت في حماية حقوقها. ويشدد على ضرورة الانتقال من نموذج الوصول المسموح به إلى حماية أفضل للملكية الفكرية. ويرى أن الترخيص سيصبح مصدر إيرادات رئيسياً، لكن الناشر الفردي يبقى في موقف ضعيف أمام شركات الذكاء الاصطناعي ذات الموارد الهائلة.

ويؤكد باتل أن الناشرين بحاجة ماسة إلى حماية ملكيتهم الفكرية بشكل أفضل، وعدم السماح باستخدام محتواهم لإنتاج منتجات جديدة تنافسهم وتسحب الجمهور منهم. وقال "يجب على الصناعة أن تنتقل من نموذج الوصول المسموح به -الذي كان يسهل تجاوز الجدران المدفوعة- إلى نموذج يحمي الملكية الفكرية بشكل أقوى بكثير".

> صناعة الموسيقى نجحت في جعل استخدام محتواها بدون دفع مقابل صعبا جدا، من خلال بناء أنظمة ترخيص جماعية قوية

نجحت صناعة الموسيقى في جعل استخدام محتواها بدون دفع مقابل صعبا جدا، من خلال بناء أنظمة ترخيص جماعية قوية (مثل منظمات إدارة الحقوق الجماعية CMOs)، وفرض عقوبات قانونية، وتطوير تقنيات حماية. ونتيجة لذلك أصبحت الشركات التقنية ملزمة بدفع مقابل استخدام الأغاني والألحان في منصاتها.

ويشدد باتل على أن الذكاء الاصطناعي التوليدي سيجبر أصحاب الإعلام على اعتبار الترخيص مصدر إيرادات رئيسيا في المستقبل، وقد يؤثر هذا حتى على نموذج أعمالهم الأساسي (الاشتراكات والإعلانات).

كلا الصناعتين (الصحافة والموسيقى) تواجهان نفس المشكلة: شركات تقنية عملاقة تمتلك موارد هائلة تستخدم محتوى إبداعيا بشريا لتدريب نماذجها، ثم تنتج بدائل رخيصة تنافس المحتوى الأصلي. في الموسيقى أدى ذلك إلى ظهور أدوات توليد موسيقى بالذكاء الاصطناعي، لكن الصناعة ردت بقوة من خلال الدعاوى القضائية والضغط لفرض تراخيص إلزامية. أما في الصحافة فالناشر الفردي يبقى في موقف ضعيف أمام شركات عملاقة.

وفي هذا السياق برزت تحالفات كان أبرزها "إس.بي.يو.آر" (إستانداردز فور بابليشر يوزج رايتس)، الذي أسسه ناشرون بريطانيون كبار مثل بي.بي.سي وفايننشيال تايمز والغارديان، وانضمت إليه لاحقا ميديا هويس الأوروبية. يركز "إس.بي.يو.آر" على وضع معايير تقنية مشتركة وإطار ترخيصي لضمان تقييم عادل للصحافة، دون أن يكون منظمة ترخيص جماعي.

أما "ريلي سيمبل لايسنسينج كوليكتيف"، الذي أُطلق في سبتمبر 2025، فيقدم معيارا مفتوحا لشروط الوصول القابلة للقراءة آليا، يسمح للناشرين بتحديد شروط استخدام المحتوى بدقة. ويضم حوالي 1500 عضو، من بينهم الغارديان وأسوشيتد برس ويو.إس.إيه. توداي، ويهدف إلى تقديم ترخيص شامل لشركات الذكاء الاصطناعي مقابل سعر واحد.

في الدنمارك يمثل "دي.بي.سي.إم.أو" (دانيش برس بابليكيشنز كوليكتيف مانجمنت أورجانايزيشن) الذي أُسس عام 2021، كل الصناعة الإخبارية تقريبا بما في ذلك الإذاعة العامة. توسع دوره ليشمل الذكاء الاصطناعي بعد إطلاق شات جي.بي.تي حيث وقع اتفاقيات مؤقتة مع محركات بحث لترخيص المقتطفات، ويطور شراكات مع كلاودفلير وتولبيت، ووقع اتفاقا مع بروراتا لبناء تشات بوت دنماركي يعتمد على محتوى مرخص.

وقالت كارين روندي، الرئيسة التنفيذية لـ"دي.بي.سي.إم.أو" إن "هذا ليس فقط عن التعويض العادل، بل عن الديمقراطية والثقة والتنوع الثقافي". ورفعت المنظمة دعوى قضائية ضد أوبن.إيه.آي في فبراير 2026، بعد فشل المفاوضات.

تقدم شركة بروراتا نموذجا مختلفا: أداة بحث محادثية تُدمج في مواقع الناشرين، تعتمد حصريا على محتوى مرخص من أكثر من 200 شريك. يتم توزيع الإيرادات الإعلانية بناءً على نسبة المساهمة في الإجابة. وقالت أنيليس يانسن، كبيرة مسؤولي الأعمال، "إذا استخدم محتواك، سيدفع لك، سواء كان على موقعك أو موقع آخر".

ويؤكد الخبراء أن الصحافة الناجحة ستعتمد على المحتوى البشري الأصيل: تحليلات، آراء، ومحتوى متعدد الوسائط. ورغم أن تجربة المستخدم قد تتحسن، إلا أن السؤال المفتوح يبقى: هل ستحافظ هذه النماذج على الصحافة ذات المصلحة العامة والنظام المعلوماتي الموثوق؟

يبدو أن التحالفات الجماعية -سواء كانت عالمية أو وطنية- تمثل الطريق الثالث بين "التوقيع" و"رفع قضايا"، محاولة إعادة رسم توازن القوى بين الصحافة وعمالقة التكنولوجيا.

بعد 100 يوم من العزلة.. عودة تدريجية ومقيدة للإنترنت في إيران

طهران - بدأت السلطات الإيرانية إعادة خدمة الإنترنت جزئيًا في العاصمة طهران وعدة أقاليم رئيسية، لتبث الحياة مجددًا في شبكة اتصالات أصابها الشلل شبه الكامل جراء قيود حكومية صارمة استمرت لثلاثة أشهر وبضعة أيام، وهي الخطوة التي وصفها مراقبون بأنها محاولة لتهدئة الاحتقان الاقتصادي المتزايد دون التخلي الكامل عن القبضة الأمنية الرقمية.

وأفاد سكان في العاصمة طهران وبعض المدن الكبرى مثل أصفهان وشيراز بتمكنهم من الوصول إلى بعض المواقع الإلكترونية الدولية وتطبيقات المراسلة دون الحاجة إلى استخدام برامج كسر الحجب (في.بي.أن) لأول مرة منذ بدء موجة الاحتجاجات الأخيرة. ومع ذلك، أكد خبراء تقنيون محليون ودوليون أن رفع الحظر جاء انتقائيا وبطيئا للغاية، حيث لا تزال منصات التواصل الاجتماعي الكبرى مثل إنستغرام وواتساب وإكس تخضع لرقابة مشددة وضوابط صارمة تفصلها عمليًا عن الشبكة العالمية.

وتأتي هذه العودة التدريجية وسط تقارير تفيد بأن وزارة الاتصالات الإيرانية تقوم باختبار نظام ترشيح جديد أكثر ذكاءً، يتيح للسلطات خنق سرعة الإنترنت في مناطق محددة عوضًا عن قطعه بالكامل عن البلاد، مما يمنح الأجهزة الأمنية مرونة أكبر في التعامل مع أي اضطرابات ميدانية قد تتجدد.

وجاء قرار الحكومة بالتراجع الجزئي عن الإغلاق الرقمي بعد ضغوط شديدة ومستمرة من قطاع الأعمال الإيراني والبرلمان. وتسبب الانقطاع الطويل في شلل تام للتجارة الإلكترونية، والخدمات المصرفية الرقمية، وقطاعات الشحن والخدمات اللوجستية التي تعتمد على تطبيقات تحديد المواقع والتواصل الفوري.

ووفقًا لتقارير رسمية صادرة عن غرف التجارة الإيرانية، تكبدت الشركات الصغيرة والناشئة، وخاصة تلك التي تعتمد على منصات التواصل لبيع منتجاتها، خسائر تقدر بمليارات الدولارات. وحذر خبراء اقتصاد من أن استمرار الحظر الرقمي كان سيؤدي إلى انهيار كامل لقطاع التكنولوجيا الناشئ في إيران، مما سيتسبب في موجة هجرة جماعية للمبرمجين والمهندسين نحو دول الجوار.

> الشارع الإيراني يترقب بقلق الخطوات المقبلة، وسط مخاوف من أن تكون الانفراجة مؤقتة، وأن يعود إلى الظلام الدامس

لطالما استخدمت طهران إستراتيجية "إغلاق الإنترنت" كأداة أساسية في ترسانتها الأمنية لإدارة الأزمات وعزل المواطنين عن العالم الخارجي. ويهدف هذا الإجراء بالدرجة الأولى إلى منع توثيق الاحتجاجات وتداول مقاطع الفيديو التي تظهر تعامل قوات الأمن مع المتظاهرين، فضلاً عن عرقلة قدرة الناشطين على التنسيق الميداني الحركي.

الشارع يتخوف من العودة إلى الظلام الرقمي

وتعكس العودة الجزئية الحالية معضلة تعيشها القيادة الإيرانية؛ فهي ممزقة بين رغبتها في فرض رقابة سياسية مطلقة وحاجتها إلى الحفاظ على اقتصاد محلي متداع يعاني بالفعل من العقوبات الدولية القاسية والتضخم المرتفع. ويرى محللون أن السلطات تدرك أن عزل البلاد رقميًا بالكامل لم يعد خيارًا مستدامًا على المدى الطويل.

من جانبها، أعربت منظمات حقوقية دولية، من بينها منظمة "نت بلوكس" المعنية بمراقبة أمن شبكات الإنترنت حول العالم، عن تشككها في النوايا الحكومية. ووصفت المنظمات هذه الخطوة بأنها "صمام أمان" مؤقت وتكتيكي لامتصاص الغضب الشعبي المتصاعد، وليست تحولاً حقيقيًا أو دائمًا نحو احترام حرية تدفق المعلومات أو حقوق المواطنين الرقمية.

وفي المقابل، تلتزم الحكومة الإيرانية الصمت الرسمي تجاه تفاصيل الخطة الزمنية للإعادة الكاملة للخدمات. ويترقب الشارع الإيراني بقلق الخطوات المقبلة، وسط مخاوف من أن تكون هذه الانفراجة مؤقتة، وأن تعود شبكة الاتصالات إلى الظلام الدامس عند أول بادرة لتوتر سياسي أو اجتماعي جديد في البلاد.

ميتا تطلق اشتراكات مدفوعة على إنستغرام وفيسبوك وواتساب

سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة) - أطلقت ميتا الأربعاء خطط اشتراك مدفوعة لتطبيقاتها الرئيسية، في خطوة هامة من عملاق التكنولوجيا لتنويع مصادر دخله بعيدًا عن الاعتماد طويل الأمد على عائدات الإعلانات.

وأعلنت نعومي غليت، رئيسة قسم المنتجات في ميتا، عن هذه الخطوة في مقطع فيديو نُشر على إنستغرام، قائلة إنها تُطلق فيسبوك بلس، وإنستغرام بلس، وواتساب بلس عالميًا، مع وجود خطط أخرى قيد الإعداد للشركات والمبدعين ومنتجات الذكاء الاصطناعي.

وتختبر ميتا حاليًا باقتين متطورتين للمبدعين والشركات: باقة ميتا ون إسنشال (14.99 دولار أميركي شهريًا)، التي توفر شارة توثيق وحماية من انتحال الشخصية، وباقة ميتا ون أدفانسد (49.99 دولار أميركي شهريًا)، التي تتيح ظهورًا بارزًا في نتائج بحث فيسبوك وإنستغرام، بالإضافة إلى أدوات آلية لتنمية الجمهور.

بدأت هذه الاختبارات في أسواق مختارة، بما في ذلك السعودية والمغرب، بينما ستطلق الشهر المقبل باقتان منفصلتان تركزان على الذكاء الاصطناعي للمستخدمين الأفراد: ميتا ون بلس (7.99 دولار أميركي شهريًا) وميتا ون بريميوم (19.99 دولار أميركي شهريًا)، حيث توفران قدرات تحليلية محسّنة، وإمكانية إنشاء صور وفيديوهات أكثر تنوعًا عبر تطبيقات ميتا.

يأتي هذا الإجراء في ظل تدقيق المستثمرين في ميتا بشأن إنفاقها الضخم على الذكاء الاصطناعي. وقد توقعت الشركة إنفاقًا رأسماليًا يتراوح بين 125 و145 مليار دولار أميركي لهذا العام، ويركز هذا الإنفاق بشكل أساسي على مراكز بيانات الذكاء الاصطناعي. وارتفع سهم شركة ميتا بنسبة تقارب 3 في المئة بعد الإعلان.

> الإعلان يُمثل خطوة هامة من عملاق التكنولوجيا لتنويع مصادر دخله بعيدًا عن الاعتماد طويل الأمد على عائدات الإعلانات

ووفقًا للتقارير، سيبلغ سعر اشتراك إنستغرام بلس وفيسبوك بلس 3.99 دولار أميركي شهريًا، بينما سيبلغ سعر واتساب بلس 2.99 دولار أميركي شهريًا.

وسيتيح إنستغرام بلس وفيسبوك بلس ميزات إضافية، تشمل تحليلات محسّنة، وإحصائيات إعادة مشاهدة القصص، ووصولاً أوسع للجمهور، وخيارات تخصيص الملف الشخصي.

ويركز واتساب بلس على التخصيص، بما في ذلك الملصقات المميزة، ونغمات الرنين المخصصة، وثيمات التطبيق.

وأعلنت غليت أن الشركة تعتزم في نهاية المطاف دمج عروضها المختلفة تحت علامة تجارية واحدة هي ميتا ون.

وفي عام 2023 أطلقت ميتا نسخًا مدفوعة وخالية من الإعلانات من فيسبوك وإنستغرام في أوروبا، امتثالاً لتشريعات الاتحاد الأوروبي لحماية البيانات، مما يمنح المستخدمين خيارًا بين تجربة مجانية مدعومة بالإعلانات وأخرى مدفوعة وخالية منها.

بحث عن الإيرادات

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

الزيدي يوقظ الرقيب النائم ويكتب أول فصول الإصلاح

صلاح الهوني
إعلامي ليبي

في الخامس والعشرين من مايو الجاري، وخلال جلسة اعتيادية لمجلس الوزراء، كسر رئيس الوزراء الجديد علي الزيدي عرفًا راسخًا في السياسة العراقية حين وجّه انتقادًا علنيًا لمؤسسة رقابية يُفترض أنها تراقب أداء حكومته. قال الزيدي بلهجة حازمة "أسلوب الديوان يجب أن يتغير، والتعطيل في عمل ديوان الرقابة المالية أصبح غير مقبول، وهناك شركات لم تُدقَّق حساباتها منذ سنوات". ثم مضى خطوة أبعد، في ما بدا اعترافًا ضمنيًا بقصور المنظومة المحلية، إذ وجّه الديوان إلى الاستعانة بشركات تدقيق عالمية لتطوير آليات العمل، محددًا لذلك مهلة واضحة: إنجاز التدقيق المالي قبل نهاية الشهر السابع من كل عام.

هذه التصريحات ليست مجرد توجيهات إدارية روتينية، بل هي أول مواجهة علنية بين السلطة التنفيذية وجهازها الرقابي في عهد الحكومة الجديدة. وما تكشفه تلك المواجهة، في طياتها، هو السؤال الحقيقي الذي يُطارد كل إصلاح مالي في العراق: هل يمكن إصلاح الرقابة في بلد تتسابق فيه شبكات الفساد مع الزمن، وكثيراً ما تفوز؟

ديوان الرقابة المالية الاتحادي مؤسسة عريقة وفق كل المعايير؛ يعود تاريخها إلى العهد الملكي في خمسينات القرن الماضي، وأُعيد تأسيسها في شكلها الحديث بعد 2003. لكن عراقة المؤسسة لا تعني فاعليتها. على مر السنوات، انتقلت من مؤسسة رقابية نشطة إلى جهاز إداري مثقل بالبيروقراطية، يُصدر تقارير لا تُحال في معظمها إلى القضاء، ويُراكم ملفات لا تُنتج محاسبة، ويعمل في إيقاع يمنح الفساد هامشاً زمنياً سخياً للتكيّف والتخفي. المفارقة المؤلمة في التقارير التي تصف واقع هذا الديوان هي أن بعض الوثائق المالية المسجّلة تتلف أو تضيع قبل أن تُدقّق، وكأن المؤسسة التي يُفترض أنها تحفظ الذاكرة المالية للدولة تعاني نفسها من فقدان الذاكرة.

تصريحات الزيدي تحمل دلالتين متمايزتين تستحقان القراءة المنفصلة. الأولى، إصلاحية بامتياز: المطالبة بتغيير الأسلوب وتقصير المدد الزمنية للتدقيق وتطوير الأدوات عبر شراكات دولية. وهذه كلها خطوات تقنية منطقية في سياق مؤسسة تعاني من البطء البنيوي. الثانية، سياسية لا تخطئها عين المراقب: أشار الزيدي إلى أن الملاحظات الجوهرية يجب أن تُحال إلى المحكمة لا أن تُودَع في أدراج الأرشيف. وهذا تحول في فلسفة الرقابة من وظيفة إدارية إلى أداة قضائية. كما أن الزيدي أكد ضرورة إيلاء مكافحة الفساد والإجراءات الوقائية أسبقية، والتعاون مع هيئة النزاهة الاتحادية، والتأكيد على استرداد الأموال العراقية المهرّبة في الخارج. هذه منظومة خطاب تُعلن نية متكاملة، أو على الأقل نية مُعلنة.

لكن هنا تبدأ الإشكالية البنيوية. الاستعانة بشركات تدقيق عالمية كـ"ديلويت" أو "برايس ووتر هاوس" أو غيرهما من العمالقة – وهو الاتجاه الذي تُلجأ إليه توجيهات الزيدي – ليست في حد ذاتها حلاً للفساد. الشركات الدولية تُدقّق وتُوثّق وترفع تقارير، لكنها لا تستطيع إجبار منظومة قضائية على الملاحقة، ولا تستطيع تجاوز الإرادة السياسية التي تحدد من يُحاسَب ومن يُصان. والتاريخ العراقي يعرف نماذج عدة لتقارير تقنية دقيقة اكتسبت طابعا أكاديميا لا إجرائيا، وأُودعت في الأدراج التي كانت تسعى إلى تفريغها.

> **الفساد في العراق ليس ظاهرة هامشية يسهل اجتثاثها بل شبكة متجذرة في مفاصل الدولة ومن في قلبها يملكون موارد ووسائل للدفاع عن أنفسهم**

العلاقة بين بطء الرقابة وسرعة الفساد ليست مصادفة، بل هي معادلة مدروسة. الفساد المنظم لا يحتاج إلى إخفاء مستمر، كل ما يحتاج إليه هو وقت كاف ليتمكن المستفيدون من تحريك الأموال وتغيير صفاتها القانونية وتعقيد مساراتها قبل أن تُنتج الرقابة توصية. وحين تستغرق الدورة الرقابية سنوات بينما تستغرق صفقة مشبوهة أسابيع، يصبح كل تقرير رقابي يصل إلى التوثيق وصفاً لماضٍ لا إمكانية لاسترداده. التأخير الإداري ليس إهمالاً بريئاً في هذا السياق؛ هو أحياناً الحصانة التي تُتيح الإفلات المنظم من المساءلة.

والإشكالية الأعمق تبقى في استقلالية المؤسسة الرقابية ذاتها. في أي منظومة حوكمة سليمة، تكون هيئات الرقابة محمية من الضغط التنفيذي. لأن ديوان الرقابة الذي يخضع لتوجيهات رئيس الوزراء يصبح في جوهره امتداداً للسلطة التي يُفترض أن يراقبها. تصريحات الزيدي نفسها، على أهميتها في الدفع نحو الإصلاح، تحمل في طياتها هذا التوتر: رئيس الحكومة يُوجّه الجهاز الذي يُفترض أن يراقب الحكومة. هل هذا إصلاح أم إعادة تموضع؟ هل هو دفع حقيقي نحو المحاسبة أم تأطير سياسي يُوحي بالجدية دون أن يُقيّد سلطة الحكومة على الرقيب؟

الإجابة المنصفة هي أن الأمر يحتمل الاثنين في آن واحد، وأن الفارق بين الاحتمالين سيتحدد لاحقاً بما يجري فعلاً لا بما يُصرّح به الآن. لكنّ ثمة معطى اجتماعيا وسياسيا يمنح هذه التصريحات ثقلاً يتجاوز قيمتها الإدارية المباشرة: ثقة المواطن العراقي بمؤسسات الدولة وصلت إلى مستوى من الهشاشة يجعل أي خطاب جدي عن المحاسبة حدثاً ثانوياً. الشارع العراقي الذي شهد "سرقة القرن" والمليارات المهربة وملفات الفساد التي تُفتح ولا تُغلق، يتابع هذه التصريحات بمزيج من التشكك والرغبة في التصديق، لأن البديل عن التصديق هو اليأس الكامل.

وهذا البُعد الاجتماعي لا يجب إغفاله في أي تحليل للملف. الإصلاح الرقابي ليس مجرد مسألة تقنية تعني المحاسبين والمدققين، بل هو شرط لإعادة بناء الشرعية السياسية. دولة لا تُحاسب لا تستطيع أن تُقنع مواطنيها بأن مدفوعاتهم الضريبية وعائدات نفطهم تذهب إلى مشاريع تخدمهم. وبدون هذا الإقناع، كل مشروع تنموي يبقى موضع شك، وكل عقد حكومي يُقرأ باعتباره فرصة لاحتمال آخر من احتمالات الهدر.

ما أطلقه الزيدي الاثنين الماضي يمكن قراءته كبداية اختبار لا كنهايته. الخطاب واضح، والتوجيهات محددة، والمهل مرسومة. ما يبقى غامضاً هو الإرادة التنفيذية الكاملة والاستعداد لتحمّل التبعات السياسية حين تُشير التدقيقات إلى أسماء لها وزن في منظومة الحكم. الفساد في العراق ليس ظاهرة هامشية يسهل اجتثاثها، بل هو شبكة مُتجذّرة في مفاصل الدولة، ومن في قلبها يملكون موارد للدفاع عن أنفسهم.

السؤال الذي سيحكم على هذه المرحلة ليس هل يريد الزيدي إصلاح الرقابة، بل هل سيبقى هذا الإصلاح في مساره حين تبدأ الملاحقات الفعلية بالاصطدام بالحسابات السياسية. هنا يتحول الخطاب إلى اختبار، والنوايا إلى قرارات، والإصلاح إلى شيء أكثر من بيان في جلسة مجلس الوزراء.

ديوان الرقابة المالية إما أن يكون الشاهد الصامت على فساد متجدد، أو يصبح أخيراً رقيباً بالمعنى الحقيقي للكلمة. اللحظة مهيأة. وما يُحددها ليس النص، بل التطبيق.

خطوة أولى نحو استعادة الثقة

لماذا ثقة الأردن في المستقبل؟

الأردن يعرف نفسه ويعرف وجهته ويعرف خياراته

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لم تكن الكلمة التي وجهها الملك عبدالله الثاني إلى الأردنيين في الذكرى الثمانين للاستقلال سوى تعبير عن الثقة بالمستقبل وبالقدرة على مواجهة التحديات في منطقة أقلّ ما يمكن قوله فيها أنّها في مهب الريح.

الأهمّ من ذلك كلّه أن العاهل الأردني رسم صورة المستقبل الذي يطمح إليه الأردن كدولة عصريّة، لا تمتلك سوى القليل من الثروات الطبيعيّة، استطاعت تطوير ثروة خاصة بها هي ثروة الإنسان.

كانت كلمة عبدالله الثاني مقتضبة، لكنّ فيها ما يكفي من الشجاعة لتأكيد أنّ الأردن يمارس بالفعل التسامح على أرض الواقع في منطقة مليئة بالتناقضات والمتطرفين من كلّ حدب وصوب. ليس حدثا عاديا كلام العاهل الأردني عن طبيعة الأردن كبلد يتحدث فيه الملك إلى "أبناء" الأردن و"بناته" ويقول: "لم يكن الأردن يوما هامشا في سرد البشرية، بل موطنا للأمم وأرضا للوئام. على ضفّة نهره تعمد المسيح، وفي ربوعه عاش الصحابة والتابعون. على أرضه عاشت حضارات قدمت للعالم دروسا في المنعة والصمود فعلمتنا كيف نسعى ونحول الصعاب إلى فرص. الحاضر خير شاهد على ذلك. فرغم كل الظروف، حافظ الأردن على حدوده وأمنه وواصل مسيرته الديمقراطية وجنب اقتصاده آثار الأزمات".

> **كلمة عبدالله الثاني إلى الأردنيين كانت تعبيرا عن قدرة على ممارسة الثقة بالذات والاستمرار في بناء دولة قويّة متمسّكة بتاريخها وجذورها تعرف ماذا تريد قبل أي شيء**

من بين أهمّ ما ورد في الكلمة قول عبدالله الثاني: "اليوم لا نحتفل فقط بما أنجزناه بل بما نمتلك من قدر وقدرة. ليس الفخر غايتنا وإنما ترسيخ ثقتنا بهذا الوطن". الأردن يعرف نفسه ويعرف وجهته ويعرف خياراته. معنى ذلك أن المملكة تدرك تماما طبيعة سير الأحداث في المنطقة وتدرك كيف التعاطي معها وذلك استنادا إلى خبرة طويلة في هذا المجال. فإذا كانت أحداث السنوات الثمانين الماضية أثبتت شيئا، فهي أثبتت أن الأردن من ثوابت المنطقة. تغيّرت سوريا وتغيّر العراق وبقي الأردن، كما هو، مملكة هاشميّة لا تحتاج إلى دروس في الوطنيّة من أحد... بما في ذلك من تنظيمات فلسطينية كانت تعتقد أن "الطريق إلى القدس تمرّ بعمّان"!

تعاطى الأردن دائما مع التغييرات والمتغيرات العراقيّة والسوريّة بكلّ مرونة وحزم في آن. فعل ذلك على الرغم من أنّه كان مستهدفا في مناسبات كثيرة، خصوصا في أيام الوحدة المصريّة – السوريّة بين 1958 و1961 وفي مرحلة صعود حافظ الأسد بعد العام 1970. وقتذاك، عرف الملك حسين كيف استيعاب الأسد الأب الذي سعى إلى وضع الأردن تحت جناحيه، كما فعل مع لبنان، وتشكيل جبهة، في إمرته، تمتد من العقبة إلى الناقورة في جنوب لبنان!

بالنسبة إلى دول الخليج، تطورت العلاقة الأردنية مع هذه الدول. بات الأردن الذي أخذ موقفا واضحا من نظام "الجمهوريّة الإسلاميّة"، منذ لحظة قيامه في العام 1979، ومنذ خوض هذا النظام حربا مع العراق بين 1980 و1988، جزءا لا يتجزّأ من الأمن الخليجي.

لا بدّ من التوقف عند الإشارة إلى عبارة "على ضفّة نهره تعمّد المسيح". إنّها عبارة تؤكّد الأهمّية التاريخيّة والحضارية للأردن ومدى استيعاب العرش الهاشمي لهذه الأهمّية وهذا العمق التاريخي للبلد الذي قام انطلاقا من تفاعل بين سكانه الأصليين من شرق أردنيين والهاشميين. كان ذلك منذ مطلع عشرينات القرن الماضي في ما كان إمارة شرق الأردن التي ما لبثت أن صارت المملكة الأردنيّة الهاشمية في العام 1946.

في كلّ تاريخه، بقي الأردن محافظا على قيم معيّنة تقوم على أساس الاعتراف بكلّ مكوناته. لا تفريق بين مواطن وآخر بسبب الدين أو القوميّة. يفسّر ذلك الاندماج الكامل بين عشائر الأردن، التي بينها عشائر مسيحية والعرش الهاشمي، كذلك بين العرش والشركس والدروز والشيشان وذوي الأصول الشاميّة. أضاف هذا التفاعل بين كلّ هذه الفئات مناعة وقوة واستقرارا للأردن. عزز ذلك الدور الإيجابي للأردن فلسطينيا. عزز صمود الفلسطينيين في الضفّة الغربيّة. صار الأردن رئة لهؤلاء للخروج إلى العالم والعودة إلى فلسطين عبر جسر الملك حسين.

غالبا ما ردّد عبدالله الثاني أن الموضوع ليس موضوع تسامح بمقدار ما أنّه موضوع الاعتراف بالآخر. من هنا، ليس صدفة وجود الوصاية الأردنيّة على الأماكن المقدّسة المسيحيّة والإسلاميّة في القدس. ثمّة علاقة تاريخيّة بين الهاشميين والأماكن المقدّسة في القدس، خصوصا المسجد الأقصى.

> **الأردن الذي أخذ موقفا واضحا من نظام «الجمهوريّة الإسلاميّة» منذ لحظة قيامه عام 1979 ومنذ خوض هذا النظام حربا مع العراق بات جزءا لا يتجزّأ من الأمن الخليجي**

يبقى في نهاية المطاف أنّ ليس في الإمكان تجاهل العلاقة بين الأردن والفلسطينيين. تحولت هذه العلاقة مع الوقت وفي ضوء التجارب إلى أكثر من إيجابية. أنقذ الأردن، بفضل مؤسساته، في مقدمها جيشه وتلك اللحمة العميقة بين مؤسسة العرش والعشائر، الفلسطينيين من أنفسهم في العام 1970.

ذهب الأردن إلى أبعد من ذلك عندما قطع الطريق على اليمين الإسرائيلي الذي كان يحلم في مرحلة معيّنة بالأردن كـ"وطن بديل".

تحوّل الفلسطينيون في أيّامنا هذه إلى عامل إيجابي على صعيد الداخل وفي خدمة الاستقرار. لم يعودوا قوة اقتصادية لها وزنها في المملكة فقط. تبينت أهمّية الأردن فلسطينيا، خصوصا بعدما اكتشف هؤلاء أهمّية الاستقرار الأردني وأهمّية العيش في دولة تمتلك مؤسسات راسخة وترفض أي نوع من التطرّف من جهة والعيش في ظلّ شعارات طنانة لا قيمة لها على أرض الواقع من جهة أخرى. في كلّ ما فعله الأردن، بما في ذلك قرار فك الارتباط مع الضفّة الغربيّة في 1988 والتوصل إلى اتفاق وادي عربة مع إسرائيل في 1994، تأكيد على الدفع في اتجاه قيام دولة فلسطينيّة مستقلّة في يوم من الأيام.

كانت كلمة عبدالله الثاني إلى الأردنيين كلمة من القلب. كانت تعبيرا عن قدرة على ممارسة الثقة بالذات والاستمرار في بناء دولة قويّة متمسّكة بتاريخها وجذورها تعرف ماذا تريد قبل أي شيء.

صراع العمالقة... من يحكم العالم؟

د. عبدالحفيظ عبدالرحيم محبوب
أستاذ الجغرافيا السياسية والاقتصادية بجامعة أم القرى سابقا

العالم اليوم ساحة لصراع نفوذ متعدد الأقطاب، تبرز فيه ثلاثة أقطاب رئيسية تتنافس على الهيمنة الاقتصادية والعسكرية والسياسية. الولايات المتحدة ما زالت تصر على قيادة النظام العالمي الحالي، باعتبارها صاحبة أكبر قوة اقتصادية وعسكرية، مع نفوذ قوي في المؤسسات الدولية. أما الصين، القوة الصاعدة وثاني أكبر اقتصاد عالمي، فقد توسعت بقوة في آسيا وأفريقيا، لتصبح المنافس الإستراتيجي الأول للهيمنة الأميركية. فيما تشكل روسيا قوة عسكرية ونووية تتحدى النظام الغربي، وتسعى لاستعادة جزء من نفوذها في زمن الحرب الباردة، من أجل المشاركة في تأسيس نظام عالمي متعدد الأقطاب.

المنافسة بين الولايات المتحدة والصين لم تعد اقتصادية فقط، بل تحولت إلى حرب وجودية متعددة الأبعاد تشمل الممرات البحرية والمعادن النادرة والبنية الرقمية العالمية

انشغل مفكرو الولايات المتحدة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي بمستقبل بلادهم في ظل التغيرات التي طرأت على شكل النظام العالمي، خصوصًا مع تحولات ميزان القوى من الغرب إلى الشرق في القارة الآسيوية منذ بداية الألفية الثالثة، وبشكل خاص بعد حربي أفغانستان والعراق اللتين أنهكتا الاقتصاد الأميركي. وفي فبراير 2012 صدر كتاب روبرت كاجان، المؤرخ وزميل مركز بروكينجز وأحد أقطاب المحافظين الجدد، بعنوان العالم صنع أميركي. تبنى الرئيس أوباما بعض مقولاته في خطاب حالة الاتحاد، حيث أكد كاجان أن أميركا تتمتع بصلابة أسس القوة، وأنها رغم الأزمات الاقتصادية الطاحنة في أعوام 1890 و1930 و1970، استطاعت أن تعود أقوى مما كانت عليه مقارنة بالقوى الأخرى. فقد كانت الولايات المتحدة تنتج ربع الإنتاج العالمي، فيما بلغ إنتاج الصين عام 2010 نحو 6 تريليونان دولار، مقابل 15 تريليون دولار للولايات المتحدة، و16.4 تريليون دولار للاتحاد الأوروبي.

اعتبر كاجان أن صعود الصين والهند وبعض القوى الآسيوية جاء على حساب أوروبا واليابان اللتين تراجع نصيبهما في الاقتصاد العالمي. ورأى أن الاقتصاد الصيني وحده ليس مؤشرًا كافيًا في ميزان القوة النسبية، إذ سبق أن كانت الصين أكبر اقتصاد في بداية القرن التاسع عشر، لكنها تراجعت لصالح أوروبا.

لم يعد النظام الدولي منذ مطلع العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين قائمًا على المنافسة التقليدية بين القوى الكبرى كما كان في زمن الحرب الباردة أو لحظة القطب الواحد في التسعينات. المنافسة الأميركية – الصينية لم تعد مجرد صراع اقتصادي أو تكنولوجي أو حتى عسكري تقليدي يمكن احتواؤه، بل تحولت إلى حرب وجودية متعددة الأبعاد على ثلاثة محاور مترابطة: الممرات البحرية التي تمثل شريان الطاقة والتجارة والإمداد العسكري، والمعادن النادرة والحرجة التي أصبحت النفط الجديد للثورة الصناعية الرابعة والخامسة والسادسة القادمة، والبنية الرقمية التي أصبحت عصب الحياة.

انتقلت الصين من دولة نامية تعتمد على العمالة الرخيصة إلى قوة صناعية وتكنولوجية متقدمة تسيطر على البنية التجارية العالمية. ووجدت الولايات المتحدة أن الاحتفاظ بالهيمنة يحتاج إلى أكثر من القوة العسكرية، بل إلى ضبط المنظومة العالمية بحيث تظل هي مركز الممرات، ومركز التكنولوجيا، ومركز النظام المالي والرقمي. الصين لم تقف مكتوفة الأيدي؛ فقد أنفقت أكثر من 1.8 تريليون دولار حتى نهاية 2025 في بناء عالم موازٍ كامل من الممرات البديلة: خطوط سكك حديدية بين الصين وأوروبا عبر كازاخستان وبيلاروسيا وروسيا، ارتفعت من 80 رحلة سنويًا عام 2011 إلى 18.400 رحلة سنويًا عام 2025، تنقل بضائع بقيمة 74 مليار دولار سنويًا، وتقلص زمن الشحن من 45 يومًا بحرًا إلى 12 – 14 يومًا برًا. ميناء جوادر الباكستاني يستقبل 19 في المئة من نفط الصين القادم من الخليج، مما يختصر المسافة 12 ألف كيلومتر عن طريق ملقا، ويضعه تحت حماية القوات الباكستانية والصينية معًا.

افتتحت الصين قاعدة في جيبوتي عام 2017 تحولت إلى مركز لوجستي يدير استثمارات بقيمة 92 مليار دولار في موانئ كينيا وتنزانيا والصومال والسودان وموزمبيق. وفي أميركا اللاتينية بدأ العمل الفعلي عام 2025 في مشروع قناة نيكاراغوا الجافة بتكلفة 60 مليار دولار، لربط المحيط الأطلسي بالمحيط الهادئ برًا وبسكك حديدية عالية السرعة تديرها شركات صينية. كما تمتلك الصين تسع كسارات جليد نووية وغير نووية مقابل اثنتين للولايات المتحدة، لتقليص المسافة بين شنغهاي وروتردام من 20 ألف كيلومتر إلى 12 ألف كيلومتر.

في المقابل، لم تجلس الولايات المتحدة مكتوفة الأيدي أمام هذا التمدد الصيني. فاقتصادها يعتمد على حرية الملاحة والتفوق البحري لضمان هيمنتها العالمية، وحلفاؤها في آسيا يعتمدون على وجودها البحري كضمانة ضد أي محاولة صينية. وقعت واشنطن اتفاقية سرية مع فيتنام في يوليو 2025 تتيح للبحرية الأميركية استخدام قاعدة كام رانه البحرية لقطع الإمدادات الصينية في بحر الصين الجنوبي خلال ساعات. كما ضخت 312 مليار دولار إضافية في عهد ترامب في البنية التحتية العالمية، مع التركيز على موانئ سريلانكا وجزر المالديف وجيبوتي وموزمبيق وكينيا وجزر سليمان، لتكوين حلقة خنق بحرية كاملة حول المصالح الصينية.

وفق بيانات البنك الدولي، بلغ الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة قرابة 28.75 تريليون دولار، وللصين نحو 18.74 تريليون دولار في 2025. أي أن الاقتصاد الأميركي تضاعف أقل من مرتين منذ 2010، بينما تضاعف الاقتصاد الصيني ثلاثة أضعاف منذ 2010، و17 ضعفًا منذ عام 2000 حين بلغ 1.2 تريليون دولار، بعد أن كان 397 مليار دولار عام 1990. فيما كان ناتج الولايات المتحدة عام 1990 نحو 6 تريليونات دولار، وارتفع إلى 10.28 تريليون دولار عام 2000.

ما يعني أن البلدين معًا يمثلان 42.8 في المئة من إجمالي الاقتصاد العالمي البالغ 110.98 تريليون دولار. ووفق تقديرات غولدمان ساكس، ستصبح الصين أكبر اقتصاد في العالم بحلول عام 2050، حيث يُقدّر ناتجها المحلي الإجمالي بنحو 42 تريليون دولار، متجاوزة الولايات المتحدة التي يُتوقع أن يبلغ ناتجها نحو 34 تريليون دولار، بل هناك تقديرات أخرى ترى تصدر الصين بنحو 58 تريليون دولار مقابل 34 تريليون دولار للولايات المتحدة.

تدفقات السلع بين البلدين وُصفت بأنها من أكبر التدفقات الثنائية في تجارة البضائع عالميًا. ففي عام 2024 استوردت الولايات المتحدة من الصين ما قيمته 463 مليار دولار، بينما استوردت الصين من الولايات المتحدة 165 مليار دولار. أي أن العلاقة بين البلدين تظل حجر الزاوية في الاقتصاد العالمي. فقد بلغ حجم تجارة السلع والخدمات بينهما عام 2024 نحو 658.9 مليار دولار، قبل أن تهبط تجارة السلع وحدها إلى 414.7 مليار دولار في عام 2025 نتيجة الحرب التجارية بين العملاقين.

في عام 2010، عندما اصطدمت سفينة يابانية بقارب صيني، توقفت صادرات الصين من سبعة عشر عنصرًا نادرًا، فتوقفت مصانع تويوتا وهوندا وباناسونيك ونيكون لمدة 49 يومًا، وارتفعت أسعار بعض العناصر بنسبة وصلت إلى 800 في المئة.

وتكرر السيناريو عام 2023 عندما حظرت الصين جزئيًا تصدير الغاليوم والجرمانيوم ردًا على قانون "تشيبس" الأميركي، ليبلغ ذروته في أبريل 2025 حين فرضت الصين قيودًا جديدة على عناصر ثقيلة نادرة مثل الإيتريوم والديسبروسيوم، مما أدى إلى توقف خطوط إنتاج فورد وجنرال موتورز وتسلا للسيارات الكهربائية لمدة 42 يومًا. وإلى جانب ذلك، تعتمد الولايات المتحدة على مصانع تايوان لأشباه الموصلات (TSMC) التي تنتج 92 في المئة من الرقائق المتقدمة دون 7 نانومتر، وعلى معدات الطباعة الضوئية من شركة ASML الهولندية، وعلى تحالفها مع اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان، إضافة إلى شبكة "التحالف النظيف" التي تضم 64 دولة.

صيغة جديدة للعلاقات بين العملاقين

في المقابل، فإن الهيمنة على الممرات البحرية لا تعني فقط نقل النفط والسلع، بل تشمل أيضًا نقل 98.5 في المئة من البيانات عبر كابلات بحرية تمتد بين القارات لمسافة إجمالية تقارب 1.5 مليون كيلومتر حول العالم، وهي العمود الفقري لنقل أكثر من 99 في المئة من حركة الإنترنت الدولية. ويبلغ عدد هذه الكابلات نحو 400 كابل، ومن يسيطر على مساراتها أو معداتها أو بنيتها التحتية يستطيع التأثير على كل شيء، من الأسواق المالية في نيويورك إلى شبكات الكهرباء الذكية في أوروبا.

هناك منطقة صينية تعتمد على تقنيات هواوي من الجيلين الخامس والسادس، وترتكز على مصنع SMIC الذي وصل إلى إنتاج رقائق 5 نانومتر تجاريًا في نوفمبر 2025، وهو اختراق تقني مفاجئ يعتمد على معايير صينية وقعت عليها 87 دولة، تشمل القارة الأفريقية ونحو 65 في المئة من دول أميركا اللاتينية، ومعظم دول رابطة آسيان باستثناء الفلبين وسنغافورة. وتمتلك الصين 43.8 في المئة من قدرة الحواسب الفائقة العالمية مقابل 28.7 في المئة للولايات المتحدة، فيما تحولت حرب أشباه الموصلات نفسها إلى حلبة ملاكمة بلا حكم.

جاءت زيارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى الصين في 14 مايو 2026 في وقت بالغ التعقيد، مع استمرار حرب إيران وما يترتب على غلق مضيق هرمز من تداعيات على الاقتصاد العالمي. وقد رحب الرئيس الصيني شي جينبينغ مؤكدًا أن باب الصين سيظل مفتوحًا على نطاق أوسع، مرحبًا بتعزيز التعاون الاقتصادي بين البلدين، خصوصًا وأن وكالة شينخوا الرسمية نقلت عنه قوله إن الشركات الأميركية لعبت دورًا مهمًا في مسيرة الإصلاح والانفتاح في الصين، وإن الطرفين استفادا من هذا التعاون، وأن الشركات الأميركية ستتمتع بآفاق أوسع في السوق الصينية.

كما ظهرت تقارير عن موافقة واشنطن على السماح لشركة "نفيديا" ببيع شريحة H200 المتقدمة لبعض الشركات الصينية رغم القيود المفروضة على صادرات التكنولوجيا. واعتُبرت القمة بين ترامب وشي واحدة من أهم القمم في تاريخ البشرية، حيث اتفق الطرفان على العمل معًا لوضع بروتوكول أمني يحدد أفضل الممارسات في مجال الذكاء الاصطناعي لضمان عدم وصول هذه النماذج إلى جهات غير حكومية. وهكذا برزت صيغة جديدة من العلاقات بين العملاقين تقوم على التعاون مع منافسة منضبطة، واتفق الجانبان على بناء علاقة بناءة ومستقرة إستراتيجيًا، توفر التوجيه للعلاقات الثنائية خلال السنوات الثلاث المقبلة وما بعدها، مع إبقاء الخلافات تحت السيطرة، بما يتيح استقرارًا دائمًا يمكن أن يُتوّج بتوقيع السلام.

الرباط وعمّان... تحالف الشرعية في زمن التحولات

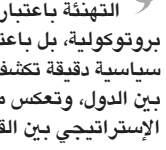

سعيد التمسماني
محلل سياسي مغربي

في الدبلوماسية، لا تقرأ برقيات التهنئة باعتبارها مجرد مجاملات بروتوكولية، بل باعتبارها مؤشرات سياسية دقيقة تكشف عمق العلاقات بين الدول، وتعكس مستوى التفاهم الإستراتيجي بين القيادات. ومن هذا المنظور، حملت تهنئة الملك محمد السادس إلى العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني والملكة رانيا العبدالله بمناسبة الذكرى الثمانين لاستقلال المملكة الأردنية الهاشمية دلالات تتجاوز الطابع الاحتفالي، لتؤكد مجددًا رسوخ محور الاعتدال العربي القائم على الشرعية التاريخية والرؤية المشتركة.

فالرسالة الملكية المغربية جاءت محمّلة بلغة سياسية رفيعة، تستحضر ليس فقط رمزية استقلال الأردن، بل أيضًا ما يمثله هذا البلد من نموذج عربي في الاستقرار المؤسسي والاتزان الإقليمي. وحين يشيد الملك محمد السادس بما يجمع الرباط وعمّان من "علاقات أخوة راسخة ومتميزة"، فإن الأمر يتعلق بتوصيف دقيق لمسار طويل من التنسيق السياسي والتقارب الإستراتيجي بين ملكيتين عربيتين نجحتا، في محيط إقليمي مضطرب، في ترسيخ نموذج الدولة المستقرة القادرة على التوفيق بين الشرعية التاريخية ومتطلبات التحديث.

هذه التهنئة تعكس في جوهرها وعيًا مغربيًا ثابتًا بأهمية الشراكات العربية الصلبة، خصوصًا مع الدول التي تتقاسم مع المملكة الرؤية ذاتها بشأن مركزية الدولة الوطنية، وأولوية الاستقرار، وضرورة تحصين القرار السيادي من رهانات الفوضى والاستقطاب.

لقد شكّل المغرب والأردن، على امتداد عقود، ركيزتين أساسيتين في معادلة التوازن العربي. وتجلى هذا التقارب في تنسيق مستمر حول القضايا الإقليمية الكبرى، وفي مواقف متقاربة تجاه تحديات الأمن والاستقرار، وفي دفاع مشترك عن منطق الحلول السياسية الواقعية بعيدًا عن المغامرات الإيديولوجية أو الحسابات الظرفية.

كما أن اختيار الملك محمد السادس توجيه التهنئة إلى الملك عبدالله الثاني والملكة رانيا معًا يحمل بعدًا رمزيًا إضافيًا، يعكس تقديرًا للدور الذي تضطلع به المؤسسة الملكية الأردنية كفاعل جامع للاستقرار الداخلي والإشعاع الخارجي، ويؤكد أن العلاقات المغربية – الأردنية لم تعد مجرد علاقات تقليدية بين دولتين شقيقتين، بل أضحت نموذجًا لشراكة عربية ناضجة تقوم على الثقة والوضوح والتقدير المتبادل.

في لحظة عربية وإقليمية تتكاثر فيها التحولات العاصفة، تبدو مثل هذه الرسائل الملكية تذكيرًا بليغًا بأن قوة الدول لا تُقاس فقط بما تملكه من أدوات التأثير، بل أيضًا بقدرتها على بناء تحالفات ثابتة تستند إلى الشرعية والتاريخ والمصير المشترك.

إنها، في العمق، رسالة سيادة وتضامن بين عاصمتين تدركان أن المستقبل العربي لا يُبنى إلا على الاستقرار، وأن الرهان الحقيقي ليس فقط في مواجهة الأزمات، بل في ترسيخ نموذج عربي قادر على صناعة الأمل بثقة الدولة وحكمة القيادة.

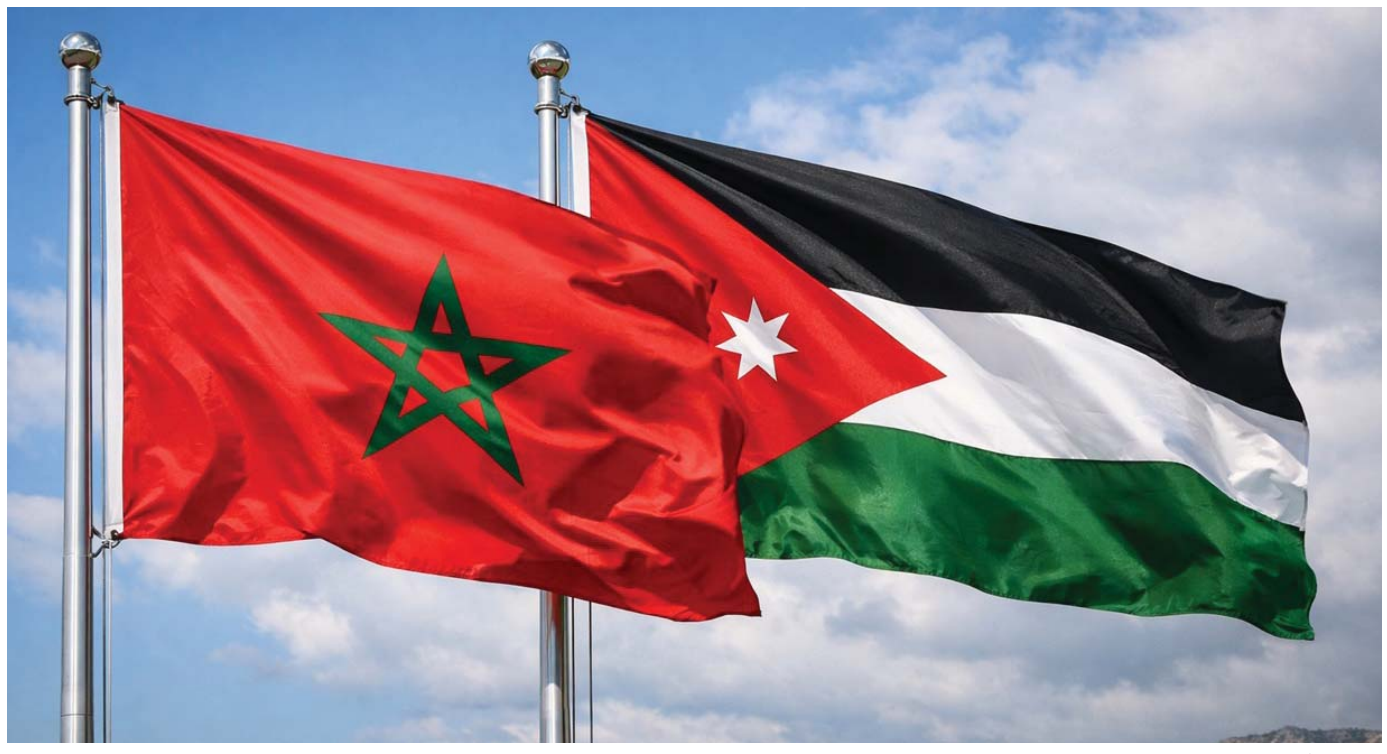

ركيزتان أساسيتان في معادلة التوازن العربي

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

جورج ساند: أيقونة الأدب الفرنسي وصوت الحرية والمساواة

كاتبة استعملت اسم رجل ومهدت الطريق لبنات جنسها في عالم الأدب

لقرون حكم الرجال عالم الأدب ولم تظهر التجارب الأدبية النسائية إلا نادرا، قبل أن تختار بعض الأديبات خرق هذا المسار واقتحام عالم الأدب الرجالي وتمهيد الطريق أمام غيرهن حتى باتت الكاتبات اليوم في صدارة المشهد، وهذا كان نتيجة نضالات كاتبات متمردات أمثال الفرنسية جورج ساند.

الطيب ولد العروسي
كاتب جزائري

في قلب مدينة مونت لا جولي الفرنسية، وتحديدًا داخل مكتبة جورج دوها ميل، ذلك الفضاء الثقافي الذي يعجّ يوميًا بالتلاميذ والطلبة والباحثين وعشاق القراءة، يجد الزائر نفسه أمام عالم من المعرفة والانفتاح الفكري. فالمكتبة لا تؤدي وظيفة تقليدية تقتصر على استعارة الكتب، بل أصبحت مركزًا ثقافيًا حيًا يحتضن المعارض والندوات وورشات القراءة والكتابة، ويمنح للثقافة دورها الحقيقي في بناء الوعي المجتمعي.

وبين رفوف الكتب وقاعات العرض، استوقفتني فعالية ثقافية خُصصت للأديبة الفرنسية الشهيرة جورج ساند، إحدى أكثر الشخصيات الأدبية إثارة للجدل والتأثير في تاريخ الأدب الفرنسي الحديث.

امرأة سبقت عصرها

كان المعرض يضم مؤلفات جورج ساند، بالإضافة إلى كتب ودراسات تناولت حياتها، وأفكارها، ومسارها الأدبي، والإنساني. وبمجرد دخولي إلى القاعة، شعرت بأنني لا أتعرف فقط على كاتبة فرنسية، بل على امرأة صنعت لنفسها مكانة استثنائية في مجتمع كان يرفض منح النساء حرية التعبير والمشاركة الفكرية.

تحدثت مع مسؤولة المكتبة التي أوضحت لي بفخر أن هذا المعرض يمتد من التاسع والعشرين من مايو إلى الثاني عشر من يونيو، في إطار إحياء الذكرى المئة والخمسين لوفاة جورج ساند، وتكريمًا لمسيرتها التي تجاوزت حدود الأدب إلى النضال الاجتماعي والفكري.

لم يقتصر المعرض على عرض الكتب والصور والوثائق، بل سيشمل سلسلة من الأنشطة الثقافية التي تهدف إلى إعادة اكتشاف هذه الشخصية الفريدة. إذ تنظم المكتبة لقاءات أدبية وورشات للقراءة والكتابة، إضافة إلى ملف وثائقي متكامل يسلط الضوء على حياة جورج ساند باعتبارها كاتبة متمردة، نادت بالمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية، وكسرت الكثير من الطابوهات التي كانت تحكم المجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر. لقد كانت امرأة سبقت عصرها بأفكارها ومواقفها، ودفعت ثمن جرأتها في "مجتمع محافظ كان ينظر بعين الريبة إلى كل امرأة تحاول تجاوز الأدوار التقليدية المفروضة عليها".

ولدت جورج ساند سنة 1804 باسم أمانتين أورو لوسيل دوبان، لكنها اختارت اسمًا أدبيًا رجاليًا كي تتمكن من نشر أعمالها والوصول إلى جمهور أوسع في عالم أدبي كان يسيطر عليه الرجال. لم يكن اختيارها لهذا الاسم مجرد تفصيل شكلي، بل كان موقفًا احتجاجيًا ضد التمييز الذي كانت تعانيه المرأة الكاتبة في ذلك الزمن. كما أنها اعتادت "ارتداء ملابس الرجال والتردد على المقاهي والصالونات الأدبية التي كانت حكرًا على الذكور، في محاولة لتأكيد حقها في الحرية والمساواة".

اشتهرت جورج ساند بإنتاج أدبي غزير تنوع بين الرواية والمسرح والمقالات السياسية والاجتماعية، وكانت كتاباتها تمزج بين الحس الرومانسي والالتزام بقضايا المجتمع. تناولت في أعمالها أوضاع الفقراء والفلاحين والنساء، "وانتقدت الظلم الاجتماعي والقيود الأخلاقية التي تكبل الإنسان. وقد جعلها هذا التوجه واحدة من أبرز الأصوات الأدبية التي ارتبطت بقضايا عصرها، بخلاف الصورة التقليدية للكاتب المنعزل عن واقعه".

كاتبة متمردة كسرت كل القيود

ولعل ما يميز جورج ساند أكثر من غيرها أنها لم تفصل بين حياتها الشخصية وأفكارها الفكرية. فقد كانت تعيش المبادئ التي تدافع عنها في كتاباتها، سواء تعلق الأمر بحرية المرأة أو الاستقلال الفردي أو رفض النفاق الاجتماعي. لذلك تحولت حياتها نفسها إلى موضوع للنقاش والجدل داخل المجتمع الفرنسي. فبينما رأى فيها البعض نموذجًا للمرأة المتحررة والمثقفة، اعتبرها آخرون شخصية خارجة عن الأعراف والتقاليد.

ومن أبرز ما لفت انتباهي خلال المعرض الحديث عن بيتها في منطقة بيري الفرنسية، الذي تحول إلى ملتقى ثقافي جمع كبار الأدباء والفنانين والمفكرين في تلك المرحلة. فقد استقبلت في منزلها أسماء بارزة من عالم الأدب والفن والسياسة، وتحول المكان إلى فضاء للنقاش الفكري وتبادل الآراء حول قضايا المجتمع والثقافة. كان ذلك البيت يعكس شخصيتها المنفتحة وإيمانها بالحوار الفكري كوسيلة للتغيير.

كما سلط المعرض الضوء على جانب مهم من حياتها يتعلق بالأمومة. فعلى الرغم من انشغالها بالأدب والنشاط الفكري، "حرصت جورج ساند على تربية طفليها بطريقة إنسانية واقعية، بعيدة عن الصورة النمطية للأم التقليدية". لقد حاولت التوفيق بين حياتها العائلية وطموحاتها الفكرية، مؤكدة أن المرأة قادرة على الجمع بين الإبداع والمسؤولية الأسرية دون أن تضحي بأحدهما.

ومن الجوانب التي تعكس عمق شخصيتها الثقافية والفكرية أيضًا، الكم الهائل من الرسائل التي تركتها وراءها. فقد كتبت أكثر من ألفين وخمسمئة رسالة تبادلتها مع أدباء وفنانين ومفكرين من عصرها، وهو ما يمثل اليوم مصدرًا تاريخيًا مهمًا لفهم التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي عرفتها فرنسا خلال القرن التاسع عشر. هذه الرسائل لم تكن مجرد مراسلات شخصية، بل كانت مساحة للنقاش الفكري والتعبير عن مواقفها تجاه الأحداث والقضايا الكبرى.

التمرد والحريّة

ضمن الفعاليات الثقافية المقامة بالمكتبة، ستخصص قراءة مسرحية بعنوان "الحياة المليئة بالأحداث لجورج ساند"، تقدمها الحكواتية الفرنسية أنيك جوان، التي ستسعى من خلالها إلى نقل الجمهور إلى عالم الأديبة الفرنسية بكل ما يحمله من صراعات وأحاسيس ومواقف إنسانية. ولا تقتصر هذه القراءة على سرد الوقائع التاريخية، بل تعتمد على "الأداء التفاعلي الذي يجعل الحاضرين يعيشون تفاصيل حياة جورج ساند، من طفولتها في الأرياف الفرنسية إلى نجاحها الأدبي وعلاقاتها العاطفية المعقدة ومواقفها السياسية الجريئة".

وتبرز هذه القراءة المسرحية البعد الإنساني في شخصية جورج ساند، حيث تظهرها كامرأة عاشت الحب والمعاناة والتمرد في آن واحد. فقد كانت تؤمن بأن الإنسان لا يمكن أن يكون حرًا ما لم يتحرر من الخوف ومن القيود الاجتماعية المفروضة عليه. لذلك "تحولت كتاباتها إلى دعوة مفتوحة للحرية الفردية والكرامة الإنسانية".

> كاتبة متمردة، نادت بالمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية، وكسرت الكثير من الطابوهات التي كانت تحكم المجتمع

كما سيضم المعرض فضاءات للقراءة وورشات للكتابة تشجع الزوار على اكتشاف أعمال جورج ساند وتحليلها. وتُعد هذه المبادرات الثقافية وسيلة فعالة لإعادة ربط الأجيال الجديدة بالأدب الكلاسيكي، وإبراز مدى ارتباطه بالقضايا المعاصرة مثل حقوق المرأة والعدالة الاجتماعية وحرية التعبير.

أما على المستوى السياسي والاجتماعي، فقد كانت جورج ساند قريبة من "التيارات التقدمية التي ظهرت في فرنسا خلال القرن التاسع عشر. دعمت الحكومة المؤقتة بعد ثورة 1848، وساندت العديد من الأفكار الإصلاحية التي طالبت بتحسين أوضاع الفقراء والعمال". ورغم أنها لم تتبنَّ دائمًا خطابًا نسويًا مباشرًا بالمعنى الحديث، فإن مواقفها وحياتها الشخصية جعلتا منها رمزًا لتحرر المرأة واستقلاليتها.

كما عرفت باهتمامها بالأدب والفكر الفلسفي، حيث كتبت مقالات نقدية تناولت أعمال كبار الأدباء مثل ويليام شكسبير وجان جاك روسو، وأبدت اهتمامًا خاصًا بالأدباء المنتمين إلى الطبقات الشعبية والحركات الاجتماعية. هذا الانفتاح الفكري جعلها شخصية جامعة بين الرومانسية الأدبية والالتزام الاجتماعي والسياسي.

وقد كانت علاقتها بالطبيعة والأرياف جزءًا أساسيًا من رؤيتها الأدبية. ففي رواياتها "تظهر القرى الفرنسية والفلاحون باعتبارهم رمزًا للنقاء والبساطة الإنسانية، في مقابل تعقيدات المدينة وصراعاتها الاجتماعية". ولهذا ارتبط اسمها كثيرًا بمنطقة بيري التي استلهمت منها عددًا كبيرًا من أعمالها الأدبية.

أما حياتها العاطفية، فقد شكلت أحد أكثر الجوانب إثارة للجدل في سيرتها. تزوجت سنة 1822 من كازيمير دوديفان، لكن زواجها لم يستمر طويلًا بسبب اختلاف الطباع والرؤى، فاختارت الانفصال والسعي نحو استقلالها الشخصي والفكري. "وقد أثار هذا القرار صدمة في مجتمع كان يعتبر المرأة تابعة للرجل وخاضعة لسلطته".

ومن أشهر علاقاتها العاطفية تلك التي جمعتها بالشاعر الفرنسي ألفريد دي موسيه، وهي علاقة اتسمت بالشغف والتوتر وانتهت بشكل مؤلم للطرفين، لكنها تركت أثرًا عميقًا في كتاباتهما معًا. كما ارتبطت بعلاقة طويلة مع الموسيقار البولندي فريدريك شوبان، الذي عاشت معه سنوات مليئة بالرومانسية والتعقيد بسبب وضعه الصحي الهش. وقد تحولت هذه العلاقة بدورها إلى مصدر إلهام أدبي وفني لكليهما.

لم تكن هذه العلاقات مجرد مغامرات شخصية، بل كانت تعبيرًا عن فلسفة جورج ساند القائمة على الحرية ورفض النفاق الاجتماعي. فقد كانت تؤمن بحق المرأة في الحب والاختيار والتعبير عن مشاعرها دون خوف من الأحكام المسبقة. وهي تقول "هناك سعادة واحدة في هذه الحياة، ألا وهي أن تُحِبّ وتُحَبّ". أو قولها "لا يمكننا تمزيق ولو صفحة واحدة من صفحات حياتنا، لكن بإمكاننا إلقاء الكتاب بكامله في النار"، أو "من يُشعِرُه الشعر بسرور نبيل يعتبر شاعراً حقيقياً ولو لم يكتب بيتا واحدا طوال حياته". أو "الغرور هي الرمال المتحركة التي يغرق فيها المنطق"، ولهذا ظلت صورتها مرتبطة بالمرأة المتمردة التي كسرت القيود الأخلاقية والاجتماعية المفروضة على النساء في عصرها.

وفي يونيو سنة 1876 رحلت جورج ساند عن العالم في منزلها بنوهان بمنطقة بيري، لكن وفاتها لم تُنهِ الجدل حول شخصيتها وأفكارها. فقد انقسمت الصحافة الفرنسية آنذاك بين من أشاد بعبقريتها الأدبية ودورها التنويري، ومن انتقد جرأتها ومواقفها الخارجة عن المألوف. غير أن الزمن أنصفها، لتصبح اليوم واحدة من أعظم الأسماء في تاريخ الأدب الفرنسي والعالمي.

إن الاحتفاء بجورج ساند بعد مرور أكثر من قرن ونصف على وفاتها ليس مجرد استذكار لكاتبة كبيرة، بل هو اعتراف بقيمة الحرية الفكرية ودور الأدب في الدفاع عن الإنسان. لقد استطاعت هذه المرأة أن تجعل من حياتها وأعمالها رسالة مفتوحة ضد الظلم والتمييز، وأن تؤكد أن الأدب ليس ترفًا ثقافيًا، بل قوة قادرة على تغيير المجتمع وتوسيع آفاق الفكر والوعي.

صلاح فائق حارس السريالية النادرة في الأدب العربي

عواد علي
كاتب عراقي

في خارطة الشعر العربي المعاصر، يقف الشاعر العراقي صلاح فائق (المولود في كركوك، عام 1944) واحدًا من أكثر الأصوات فرادةً وتمرداً. إنه ينتمي إلى "جماعة كركوك" الأدبية الستينية، تلك الجماعة التي ضمت قامات مثل فاضل العزاوي، سركون بولص، جليل القيسي، مؤيد الراوي، أنور الغساني، فاروق مصطفى، الأب يوسف سعيد ويوسف الحيدري، والتي زلزلت السائد الثقافي وحلّقت بالشعر والقصة نحو آفاق تجريبية غير مسبوقة.

بينما اتجه الكثيرون من معاصريه إلى الأدلجة أو الغنائية المفرطة، اختار صلاح فائق دربا مغايراً تماماً: درب المخيلة المطلقة التي لا تعترف بالحدود بين الواقع والحلم، ودرب الواقعية السحرية التي تعيد صياغة اليومي والمعيش وتلبسه ثوباً من الغرائبية المدهشة. إن شعره ليس مجرد كلمات، بل هو مختبر بصري وسريالي تتجاور فيه الكائنات، وتتداخل فيه الأزمنة، ويتحول فيه المستحيل إلى حدث عادي يمرّ في القصيدة بسلام.

يتسم صلاح فائق أولا بالمخيلة المطلقة، أو التحرر من جاذبية المنطق. المخيلة عنده ليست أداة لتزيين الواقع أو تصنيع الاستعارات، بل هي سلطة بديلة وخالقة لكون موازٍ، فهو يعتمد على ما يمكن تسميتهُ بـ"المخيلة المطلقة"، المخيلة التي تفك ارتباطها تماماً بالمنطق السببي، وتتحرك بحرية سريالية كاملة.

ثانيا تفكيك العلاقات التقليدية بين الأشياء. ففي قصائده، يفقد العالم تماسكه المعهود؛ فالأشياء الجامدة تكتسب وعياً، والحيوانات تمارس طقوساً بشريةً، والبشر يذوبون في عناصر الطبيعة. تجد لديه قطارات تسافر في غرف النوم، ونمور تقرأ الجرائد، وأشجاراً تحزم حقائبها لتسافر. هذا التفكيك ليس عبثاً مجرداً، بل هو رغبة عارمة في كسر آلية الحياة، وصدمة الوعي الراكد.

ثالث سماته التدفق العفوي والصورة الصادمة، إذ تتميز مخيلته بالتدفق التلقائي (الذي يقترب من الكتابة التلقائية السريالية)، حيث تولد الصورة من رحم الصورة دون تمهيد منطقي. يقول في إحدى قصائده: "تركتُ غابتي في الحافلة،/ ونزلتُ أبحث عن مفتاح لبيتي الذي نسيتُه في قلب سمكة".

إن هذا الانتقال المفاجئ من الغابة إلى الحافلة إلى قلب السمكة يجسد قمة "المخيلة المطلقة" التي تصدم المتلقي وتجبره على إعادة تعريف مفهوم "المعنى".

رابعا يمتاز صلاح فائق بالواقعية السحرية بنكهة عراقية كوزموبوليتانية، فإذا كانت "الواقعية السحرية" قد ارتبطت تاريخياً بروايات أميركا اللاتينية (ماركيز، بورخيس، كورتاثر)، فإن صلاح فائق قد نقل هذه الروح بدقة مذهلة إلى قصيدة النثر العربية، ففي عوالمه السحري ليس غريباً، والغرائبي ليس مرعباً، بل هما جزء لا يتجزأ من روتين الحياة اليومية. نقرأ له "اليوم استيقظتُ متأخراً، وجدتُ برقيةً عند رأسي من أبي/ يقولُ فيها بأنهُ ينتظرني في المطار منذ ساعات/ أنا مذهول: أبي مات قبل ثلاثين سنة/ وليس في جزيرتي مطار". لجوء صلاح فائق إلى الواقعية السحرية هو، في عمقه، محاولة للدفاع عن إنسانية الإنسان في وجه عالم مادي يزداد جفافاً وقسوة. السحر هنا ليس هروباً من الواقع، بل هو مواجهة له بأسلحة الأحلام والمخيلة التي لا تقهر.

إن سحريته تنبع من تفاصيل حياته؛ من ذاكرة كركوك بتنوعها القومي والجراد الذي يغزوها، وصولاً إلى منافيه المتعددة في لندن وبيروت والفلبين. في جزيرته الفلبينية المعزولة (حيث عاش لسنوات طويلة)، امتزجت سحرية الشرق الأوسط بسحرية الطبيعة الاستوائية، فصار يكتب عن البحر كأنه صديق يزور البيت، وعن الموتى كأنهم يجلسون معه على شرفة احتساء القهوة.

يكتب "أذهب شهريا إلى مقهى صاحبهُ مهاجرٌ/ يبيعُ عملات أجنبية وأكياس طحين مهرّب وبالتقسيط. أشتري منهُ لأنهُ ينسى من أنا/ بعد أيام".

> تجربة صلاح فائق الشعرية تثبت أن المخيلة ليست مجرد وظيفة ذهنية، بل هي فضاء مطلق للحرية والانعتاق

خامس سمات الشاعر هي آليات التشكيل السريالي في قصيدته، فلكي تصل "المخيلة المطلقة" إلى هذا المستوى من التأثير، يستخدم صلاح فائق آليات كتابية خاصة تميز أسلوبه: حياد النبرة: الشاعر لا يصرخ ولا يستعرض عضلاته اللغوية. إنه يسرد العجائب بنبرة هادئة وحيادية تماماً، كما لو كان يتحدث عن حالة الطقس. هذا الهدوء هو ما يمنح السحر واقعيته.

"بعد هذه الظهيرة سأرمي سهاما/ إلى قصائدي التي تتدلى من حبل الغسيل/ عسى حيواناتها تهربُ: أنينها يعذبني في الليل".

سادسا: أنسنة الطبيعة وحيونة الوجود. تحضر الحيوانات (الخيول، الذئاب، الطيور، النمور، الفيلة) في شعره ليس كرموز (كما في الحكايات الخرافية القديمة)، بل كذوات فاعلة، لها مشاعر ومخاوف، وتتقاسم مع الإنسان عبء الوجود.

أما شعرية اليومي فهي سابع سماته، إذ لا يبحث الشاعر عن المفردات الفخمة أو القواميس المهجورة. لغته بسيطة، يومية، وشفافة، لكنها من خلال التركيب الغريب تنتج طاقة تفجيرية هائلة.

ثامنا: عُزلة الشاعر وبناء اليوتوبيا البديلة، لا يمكن فصل مخيلة صلاح فائق المطلقة عن واقع عزلته واغترابه، فالشعر عنده هو أداة احتجاج قصوى ضد بشاعة العالم، والحروب، والدكتاتوريات، والمنافي. عندما يضيق الواقع الفعلي، يفتح الشاعر باب مخيلته على مصراعيه ليبني "يوتوبيا" أو وطناً بديلاً لا تحكمه قوانين الحدود أو جوازات السفر.

شاعر المخيلة المطلقة

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

«مشاكل داخلية 32b» يكسر التابوهات كاشفا هشاشة الأبوة أمام أسئلة المراهقة الحساسة

محمد طاهر: اخترنا عنوانا رمزيا يطابق فكرة الفيلم التي تستفز المتفرج للتفكير

تُشكل العلاقة بين الآباء وبناتهم مساحة سينمائية خصبة، لكنها نادرا ما تقتحم بجرأة. هذا بالضبط ما يطرحه فيلم "مشاكل داخلية 32b"، الذي لا يكتفي بتقديم حكاية أب يجد نفسه فجأة أمام مسؤولية رعاية مراهقة تتغير ملامح عالمها وجسدها أمام عينيه، بل يغوص في عمق الارتباك الأبوي ليصنع عملا يمزج بين الوجود الإنساني والكوميديا.

حنان مبروك
صحافية تونسية

تقترب السينما العربية في بعض أعمالها من التفاصيل الصغيرة والهشة داخل العلاقات العائلية، مبتعدة عن الصورة التقليدية للأب القوي الذي يعرف دائما كيف يتصرف، لتكشف ارتباكه الإنساني وعجزه أحيانا أمام التحولات التي يعيشها أبناؤه.

من بين هذه الأعمال يبرز فيلم "مشاكل داخلية 32b" بوصفه محاولة للاقتراب من عالم الأبوة المنفردة، وما تفرضه من أسئلة حساسة حين يجد أب (محمد ممدوح) نفسه مسؤولا وحده عن تربية ابنته، خصوصا عندما تدخل مرحلة المراهقة بكل ما تحمله من تغيرات نفسية وجسدية معقدة.

يضم طاقم عمل الفيلم نخبة من صناع السينما، وهم: المخرج محمد طاهر، والمؤلف هيثم دبور، وفي البطولة النجوم: محمد ممدوح، هنا شيحة، أحمد داش، جهاد حسام الدين، والوجه الشاب جاسيكا حسام الدين.

أب نشأ في مجتمع شرقي محافظ يواجه منطقة أنثوية لا يمتلك مفاتيحها ولا الشجاعة للخوض فيها مع ابنته

ينطلق الفيلم من فكرة تبدو بسيطة ظاهريا، لكنها مليئة بالتوتر الإنساني: رجل يحاول أن يكون أبا وأما في الوقت نفسه، حتى تأتيه جملة لأم زميل ابنته في الفصل تخبره بأن "ابنتك كبرت وحان الوقت لترتدي حمالة صدر"، جملة صادمة له يكتشف معها أن لعب دور الأب والأم أكثر تعقيدا مما كان يعتقد. فالمراهقة ليست مجرد مرحلة عمرية، بل عالم كامل من التحولات والأسئلة والارتباك، خصوصا بالنسبة إلى فتاة يبدأ جسدها بالتغير وتبدأ علاقتها بنفسها وبالآخرين بالتغير.

هنا الأب الذي نشأ في مجتمع شرقي محكوم بالكثير من التحفظ، يجد نفسه في مواجهة منطقة لا يعرفها جيدا، منطقة أنثوية لا يمتلك مفاتيحها، ولا يملك الشجاعة للخوض فيها مع ابنته، فيحاول الاقتراب منها بحذر وخوف وارتباك، يضفيان على الفيلم طابعا وجوديا وكوميديا.

في قلب هذه الحكاية التي وُضع فيها الآلاف من الآباء حول العالم، يقف الممثل محمد ممدوح، الذي استطاع أن يمنح الشخصية صدقا كبيرا بعيدا عن المبالغة. فممدوح يمتلك قدرة خاصة على تجسيد الرجل المرتبك الذي يخفي هشاشته خلف محاولات متكررة للتماسك. ومن خلال أدائه، نجح في نقل حيرة الأب إلى الجمهور بطريقة طبيعية جدا، حتى بدا كأنه لا يمثل بقدر ما يعيش الموقف فعلا.

كما أضفى محمد ممدوح بمواقفه طابعا كوميديا على الفيلم، ليس عبر الإفيهات التقليدية، بل من خلال المواقف المحرجة التي يجد الأب نفسه فيها خلال محاولاته المستميتة لإخبار ابنته بأنها كبرت وعليها ارتداء حمالة صدر، وهو يرتب سيناريوهات بينه وبين نفسه عن الطريقة المثلى لتقديم "حمالة صدر" هدية لطفلته.

الكوميديا هنا نابعة من التوتر والارتباك وعدم الفهم، من خجل الإنسان في التعامل مع مسائل حياتية مهمة تخص الجنس الآخر، وهي كوميديا إنسانية تجعل المشاهد يضحك وفي الوقت نفسه يشعر بالتعاطف وبالتفكير في الموقف وطرح سؤال "ماذا لو كنت أنا مكانه؟ كيف سأحل الأمر؟". وقد نجح ممدوح في تحقيق هذا التوازن الصعب بين الكوميديا والدراما، فبدا مضحكا وجادا في آن واحد.

كما وظف محمد ممدوح بنيته الجسدية ونبرة صوته المترددة ليجسد العجز الإيجابي. نظرات عينيه الزائغة، حركة يديه المرتبكة وهو يحاول إخفاء توتره، وطريقة مشيته التي تعكس ثقل المسؤولية؛ كلها تفاصيل جعلت الجمهور يشعر بحجم الضغط الواقع على كاهله. لقد نجح في إيصال إحساس "الرجل الذي يمشي فوق بيض مكسور"، خائفا من أن يجرح مشاعر ابنته، ومرتبكا أمام خجله من الحديث عن الموضوع، حتى تأتي خاتمة الفيلم ويكتشف أن هناك من سبقه وقام بالأمر، فيتنفس الصعداء وتنتهي المهمة المستحيلة.

ومن أهم ما يميز أداءه أنه لم يحول الشخصية إلى كاريكاتير، رغم أن الفكرة نفسها كانت قابلة للسقوط في التهريج. بل حافظ على تقمص إنسانية الأب، وعلى خوفه الحقيقي من خسارة ابنته أو فشله في احتوائها. لذلك بدا الفيلم في الكثير من لحظاته كأنه حوار طويل عن الحب الأبوي، ذلك الحب الذي قد يكون مرتبكا وغير كامل، لكنه صادق وعميق.

ويمكن أن يفسر نجاح هذا الفيلم القصير بأن ممدوح لا يتعامل مع هذه الفكرة بطريقة ميلودرامية ثقيلة، بل يختار الاقتراب منها بخفة وإنسانية. فالأب في الفيلم ليس بطلا خارقا ولا شخصية مثالية، بل رجل عادي يحاول أن يفهم ما يحدث حوله، ويخشى أن يرتكب خطأ يجرح ابنته أو يدفعها بعيدا عنه. وهذا ما يجعل المشاهد يتعاطف معه، لأن الفيلم يذكرنا بأن التربية ليست عملية سهلة أو تلقائية، وإنما هي تجربة مليئة بالتعلم المستمر والخوف من الفشل.

كما يسلط الفيلم الضوء على الفجوة التي قد تنشأ بين الأجيال، خاصة حين يتعلق الأمر بالجسد الأنثوي والخصوصية والتغيرات البيولوجية. فالكثير من الآباء في مجتمعاتنا لا يعرفون كيف يتحدثون مع بناتهم عن هذه التحولات، ليس بسبب غياب الحب، بل بسبب الحرج الاجتماعي ونتيجةً أن المجتمع سجن الرجل في برج عاجي يصعّب عليه الحديث مع ابنته عن شؤونها الخاصة، لذلك عادة ما يسارع أي أب مطلق أو أرمل إلى الزواج بامرأة أخرى ويرمي على كاهلها مسؤولية تربية أطفاله.

إلى جانب الأداء الاستثنائي لمحمد ممدوح، جاء طاقم عمل الفيلم كسمفونية متناغمة أسهمت في إشعال الواقعية والدفء في كافة المشاهد، وكان التناغم عنصرا أساسيا في تحويل هذه التجربة الإنسانية إلى لوحة سينمائية صادقة تمس كل عائلة.

أب حائر كيف يواجه تغير ابنته؟

ويحمل العمل بعدا اجتماعيا مهما، إذ يطرح فكرة أن النساء غالبا ما يتحملن وحدهن مسؤولية التربية العاطفية والجسدية للأبناء، بينما يبدو الرجل في الكثير من الأحيان بعيدا عن هذه التفاصيل. لكن عندما يجبر الأب على خوض هذه التجربة وحده، يكتشف حجم التعقيد الذي كانت تتحمله الأم بصمت. لذلك لا يتحدث الفيلم فقط عن علاقة أب بابنته، بل عن إعادة تعريف الأبوة نفسها، وعن ضرورة أن يصبح الرجل أكثر قربا من العالم العاطفي والإنساني لأبنائه.

عن اختيار العنوان وتحديدا الرقم فيه، والذي يبدو رمزيا ويصعب فهمه إلا بمشاهدة الفيلم، يقول مخرج الفيلم محمد طاهر لـ"العرب" إن "اختيار العنوان كان من كاتب الفيلم هيثم دبور، كان اختيارا ذكيا وأحببته منذ أن قرأت السيناريو لأنه بالفعل لا يوضح فكرة الفيلم إلا بمشاهدته، حينها يفهم المتفرج سر العنوان، اخترناه عنوانا رمزيا كي لا تحرق أحداث الفيلم وفي الآن ذاته يكون عنوانا ذا دلالة مباشرة على مضمون العمل السينمائي".

اعتمد الفيلم على لغة بصرية خاصة، نقلت كل الاضطرابات الشعورية التي عاشها البطل، ولحسن توظيف الإضاءة وزوايا التصوير للتعبير عن حالة التخبط التي تعيشها الشخصية الرئيسية، عمل المخرج صحبة مدير التصوير ومهندس الديكور على أن يكون هناك إظهار وتركيز واضح على إبراز مستوى الوحدة التي يعيشها البطل، وذلك من خلال اختيار الديكور واللقطات الواسعة وأحيانا اللقطات الضيقة جدا والتي تظهر الحالة الداخلية للشخصية.

ويوضح المخرج محمد طاهر أنه خصص وقتا كافيا للتحضير للعمل، حيث اشتغل كثيرا مع الممثلين وعقد حصص تدريب (بروفات ترابيزة) متكررة. وكان الهدف من ذلك أن تقدم الشخصيات بطريقة حقيقية جدا ويتم إظهار دوافعها وانفعالاتها لتكون أقرب إلى الواقع.

وأوضح المخرج لـ"العرب" أبرز العقبات التي واجهته في تنفيذ الفيلم من حيث الإنتاج والتوزيع، حيث قال إن "أكبر مشكلة واجهتني أن أجد شركات إنتاج تتحمس للفيلم في البداية، حتى تمكنا من جمع عدد شركات كبيرة، منها شركة ريد ستار وشركة فيلم كلينك وشركة فيلم سكوير وشركة بلوبرنت، طبعا من يشاهد شعارات الشركات الكبيرة على بوستر الفيلم قد يقول إن الإنتاج كان ضخما ولكن الحقيقة أن معظم العاملين شاركوا فيه دون أجر رغبة منهم في تقديم منتج فني".

وتابع أن "وجود شركات كبيرة داعمة للفيلم منحنا ثقلا فنيا كبيرا في طريقة تنفيذه. ونعتبر أن هذا سبب يجعلنا نقدم أفلاما قصيرة ذات قيمة فنية وفي الوقت نفسه تكون تجارية وقادرة على المنافسة وربما عرضها على منصات العرض الرقمي يمكننا من تحقيق أرباح مالية تغطي ولو جزءا صغيرا من مصاريف الإنتاج".

وكما ذكرنا سابقا، يناقش الفيلم موضوعا حساسا، وخاصة في المنطقة العربية ومصر، لذلك سألنا المخرج عن التساؤل الذي تمنى لو يطرحه المشاهد على نفسه فور خروجه من قاعة السينما؟ فقال إنه رغب في أن كل "متفرج يشاهد العمل، يفكر ماذا لو كان مكان البطل كيف سيكون شعوره؟ ماذا سيفعل؟ أي طريقة سيتبع لإيصال المعلومة لابنته والتعامل معها؟".

ورغم أن موضوع الفيلم جدي وشديد الحساسية، إلا أن الجمهور أبدى تفاعلا كبيرا معه واستقبل مواقف البطل بكثير من الضحك، وهو ما يقول المخرج إنه أفرحه جدا فـ"الكوميديا كانت نابعة من المواقف المربكة التي يتعرض لها البطل، وأن يتفاعل الجمهور مع المواقف ويضحك، منحني شعورا بأن الجمهور أدرك أن البطل في موقف محرج لا يحسد عليه".

ويمكن القول إن فيلم "مشاكل داخلية 32b" استطاع بفضل الطرح الذكي لموضوع مراهقة البنات وعلاقتهن بالآباء، أن يثبت أن السينما تظل قادرة على مناقشة أعقد التابوهات الإنسانية إذا توفرت لها الرؤية واللمسة الإنسانية.

الصحراء في السينما العربية: من الفضاء الطبيعي إلى الكيان الدلالي

محمد عبيدو
ناقد سينمائي جزائري

ليست الصحراء في السينما مجرد امتداد رملي أو خلفية طبيعية محايدة، بل تحوّلت، في تجارب سينمائية عربية متعددة، إلى كيان جمالي وفلسفي قائم بذاته، يحمل ذاكرة الإنسان، وصراعاته، وأسئلته الوجودية. فبينما تناولتها الفنون البصرية الأخرى — من تشكيل وفوتوغرافيا وفيديو — بوصفها موضوعا بصريا، استطاعت السينما، باعتبارها فنا جامعا، أن تدمج هذه المقاربات وتمنح الصحراء صوتا، وزمنا، وحكاية.

لقد أغرت الصحراء السينمائيين بهدوئها القاسي، وباتساعها الذي يحرر السرد من ضجيج المدن، ويعيد الإنسان إلى مواجهة مباشرة مع ذاته. ومن هنا، لم يكن حضور الصحراء في السينما العربية حضورا زخرفيا أو سياحيا، بل ارتبط غالبا بتجارب ذات نزعة تأملية وشاعرية، حيث تتحول الرمال، والضوء، والريح، والصمت، إلى عناصر سردية موازية للشخصيات.

يُعدّ ناصر خمير أحد أبرز من قارب الصحراء بوصفها عدلا إبداعيا وتشكيليا. ففي فيلمه "الهائمون" (1984)، يحكي عن قرية صغيرة معزولة في الصحراء غادرها رجالها فلم يعودوا وضاعت آثارهم، بل تحولوا إلى أشباح هائمة في الصحراء تمر مرة في العام في القرية لتأخذ معها من بقي في القرية. تتحول الصحراء إلى فضاء أسطوري، تُروى فيه حكاية قرية مهجورة وأرواح تائهة، في استعارة فلسفية عن الفقد والقدر والبحث عن المعنى. الصحراء هنا ليست مكانًا للتيه فقط، بل حاضنة للأسطورة، ومرآة للقلق الإنساني الوجودي. ويتعمق هذا البعد الروحي في "بابا عزيز"، حيث تتداخل الصحراء مع التصوف، وتصبح طريقًا للعبور الداخلي، واستعادة القيم الحضارية والإنسانية للإسلام خارج صورته النمطية المعاصرة.

في السياق الجزائري، يستعيد إبراهيم تساكي الصحراء في فيلم "إيروان"– التي تعني باللغة العربية "يُحكى أن" والمسجل باللهجة الطارقية الجزائرية – بوصفها فضاءً للذاكرة والحنين والتناقض الحضاري. الصحراء الجزائرية الشاسعة ليست مجرد مسرح لقصة حب مستحيلة، بل فضاء تتقاطع فيه الأسطورة بالواقع، والعاطفة بالتراجيديا، والإنسان المحلي بثقافات وافدة. هنا، تتحول الطبيعة إلى شريك درامي، وتغدو الرمال حبلى بدلالات عن الاستعمار، والتجارب النووية، واغتصاب المكان، في نقد واضح لعنف "الشمال" تجاه "الجنوب".

أما محمد لخضر حامينة، فيمنح الصحراء بعدا ملحميا واضحا، خصوصا في "وقائع سنين الجمر" و"غروب الظلال". الصحراء عنده ليست صامتة، بل ناطقة بالتاريخ، وبالصراع السياسي، وبالذاكرة الجمعية. اللقطات الواسعة، والضوء القاسي، والظلال الممتدة على الرمال، كلها تُسهم في بناء لغة بصرية تجعل الصحراء شخصية درامية تختبر الإنسان، وتعرّي أوهامه، وتكشف جوهر الصراع بين الاحتلال والحرية، وبين الماضي والتحوّل.

> الصحراء في السينما العربية ليست مكانا واحدا بل أمكنة متعددة تعاد صياغتها بحسب المرجعيات الجمالية والفكرية للمخرجين

في المقابل، يقدّم حسن فرحاني في "143 طريق الصحراء" معالجة نقيضة من حيث الهدوء والأسلوب، لكنها متكاملة دلاليًا. الصحراء هنا فضاء للعزلة اليومية، ومكان لعبور البشر العابرين. مطعم مليكة الصغير يتحول إلى نقطة تماس بين حكايات مجهولة، حيث تصير الصحراء شاهدًا صامتًا على أحلام البسطاء، ووحدة الإنسان المعاصر، بعيدًا عن الخطابات الكبرى.

وتتجلى الصحراء كفضاء أسطوري – توثيقي في فيلم "هدارة" لمحمد امحمدي، حيث يُعاد بناء حكاية "الرجل النعام" بين الوثيقة والأسطورة. الصحراء هنا رحم للحكايات الشعبية، وذاكرة بديلة للتاريخ الرسمي، ومكان يسمح بامتزاج الواقعي بالسريالي.

وفي السينما المشرقية، يقدّم المخرج السوري رياض شيا في "اللجاة" صحراء بازالتية قاسية، تُجسّد الصراع بين الموروث والقيم الجديدة. المكان الصحراوي لا يكتفي بعكس القسوة الطبيعية، بل يُجسّد قسوة التقاليد، ويصبح مسرحًا لتراجيديا إنسانية تتكرر بلا نهاية.

أما فيلم "ذيب" للمخرج الأردني ناجي أبونوار، فيستثمر الصحراء الأردنية بوصفها فضاء تشكيليًا ونفسيًا لنضج الشخصية. الصحراء هنا مدرسة قاسية تُعلّم الطفل معنى الفقد، والبقاء، والاختيار. وبالاعتماد على ممثلين غير محترفين من أبناء الصحراء أنفسهم، يحقق الفيلم مصداقية بصرية وإنسانية عالية، تجعل المكان عنصرًا أساسيًا في تشكّل الهوية.

في المحصلة، تكشف هذه التجارب أن الصحراء في السينما العربية ليست مكانًا واحدًا، بل أمكنة متعددة، تُعاد صياغتها بحسب المرجعيات الجمالية والفكرية للمخرجين. فهي مرةً أسطورة، ومرة ذاكرة، ومرة اختبار وجودي، ومرة فضاء سياسي. هكذا تتحول الصحراء من فراغ جغرافي إلى امتلاء دلالي، ومن خلفية صامتة إلى خطاب بصري مفتوح، يواصل طرح أسئلته عن الإنسان والتاريخ والمصير.

صحراء أغرت السينمائيين بهدوئها واتساعها (فيلم الهائمون)

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

الذكاء الاصطناعي بعيدا عن الأساطير

من اختبار تورينغ إلى نماذج اللغة الكبرى الحديثة

بين من يراه خلاصًا بشريًا ومن يراه تهديدًا حضاريًا، يظل الذكاء الاصطناعي من أكثر المفاهيم التكنولوجية إثارةً للجدل وسوء الفهم، وتضيع المساحة العقلانية لفهمه كأداة صنعها الإنسان لتوسيع قدراته لا لاستبداله. بعد ثلاث سنوات من انتشار النماذج اللغوية الكبرى، ما زال النقاش محصورًا بين الأسطورة والهلع.

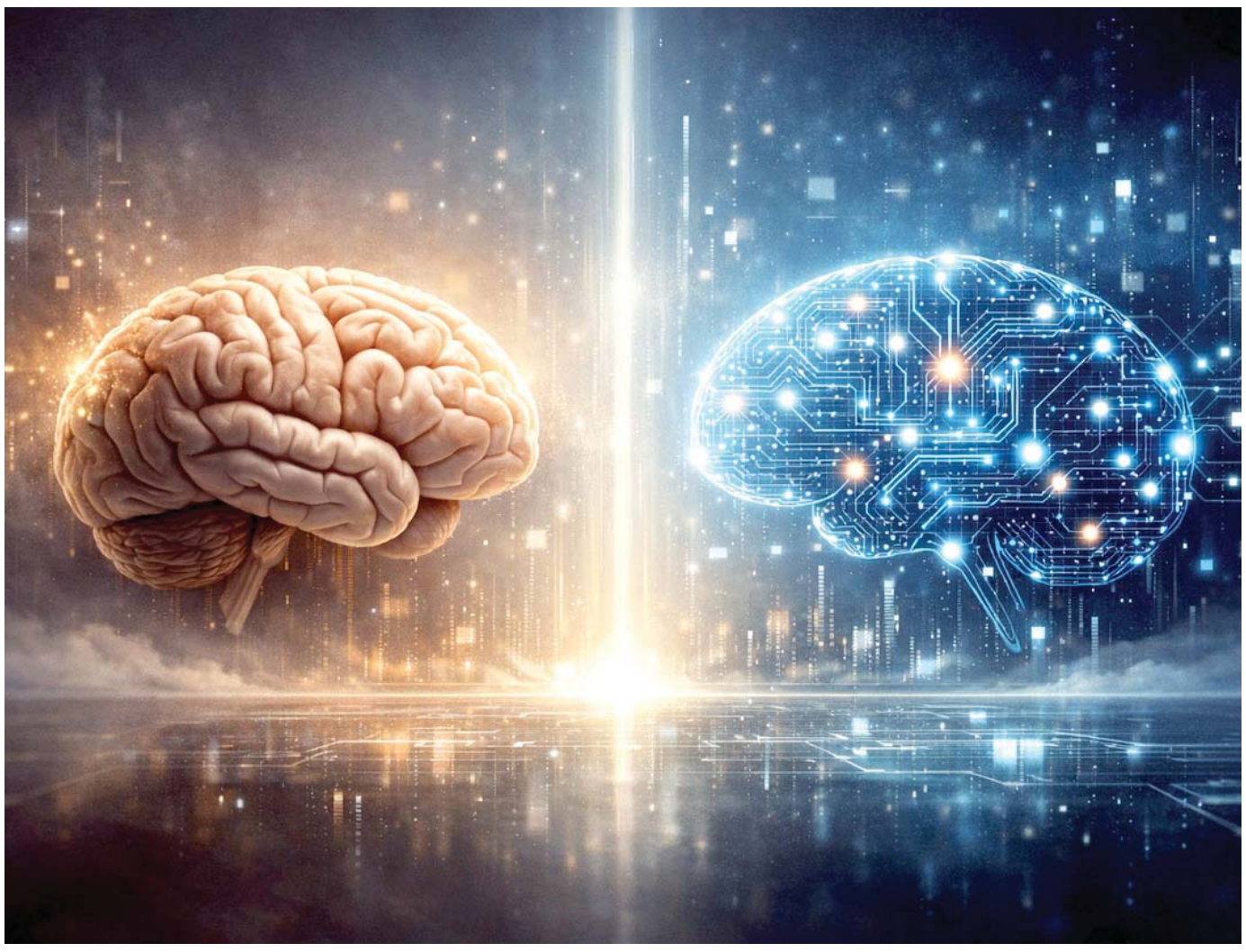

العقل البشري والعقل الاصطناعي في فضاء من الضوء والبيانات

علي قاسم
كاتب سوري

في كل مرة يظهر فيها اسم "الذكاء الاصطناعي" في مقال أو نشرة أخبار أو نقاش على وسائل التواصل الاجتماعي، يحدث شيء غريب: يتحول المحتوى فوراً إلى نوع من الخطاب الوجودي. إما أننا على أعتاب فردوس تقني سيُحرّر البشرية من العمل الممل ويُعالج الأمراض المستعصية، وإما أننا نسير بثقة نحو نهاية مدنيتنا على يد آلات تتجاوزنا. يكاد لا يوجد بين هذين القطبين المبالغ فيهما مساحة للحديث الهادئ عن ماهية هذه التقنية، وما تفعله فعلاً، وأين تنتهي قدراتها، وما الذي ينبغي علينا انتظاره منها بشكل معقول.

ثلاث سنوات مرت منذ أن دخلت نماذج اللغة الكبرى إلى غرف المعيشة والمكاتب وقاعات الدراسة، وما زلنا إلى حد بعيد نتحدث عن الذكاء الاصطناعي كما لو كنا نصف مخلوقاً من كوكب آخر وصل إلينا بلا سابق إنذار. هذه الصورة ليست مجرد بلاغة مضرة، بل هي عائق حقيقي أمام فهم واحدة من أهم التقنيات التي أنتجها العقل البشري. والحل ليس في تبسيط يُفرغ الظاهرة من تعقيدها، بل في دقة توصل بين التقني والعام دون أن تخسر أياً من الطرفين.

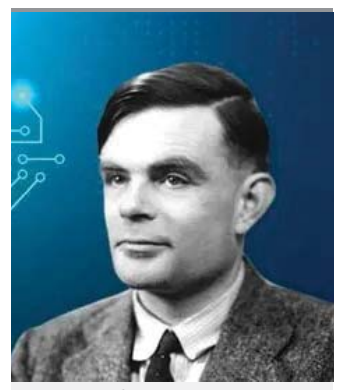

آلان تورينغ

إذا استطاعت الآلة الإجابة على الأسئلة بطريقة لا يميّزها المحاور عن إجابات الإنسان فذلك يكفي للقول إنها «تفكّر»

لنبدأ من البداية الحقيقية، لا من الصورة الشعبية.

الذكاء الاصطناعي في جوهره التقني هو مجموعة من الأنظمة الحاسوبية التي صُممت لأداء مهام تتطلب عادةً ما نُسميه "الذكاء البشري"، كالتعرف على الأنماط والتصنيف والترجمة والتنبؤ واتخاذ القرار في سياقات محددة. لكن هذه الجملة وحدها ناقصة لأنها لا تُميّز بين شيئين مختلفين جذرياً يقعان تحت هذا المصطلح الجامع.

النوع الأول هو الذكاء الاصطناعي الضيق، وهو كل ما يوجد اليوم فعلياً في العالم. برنامج يُشخّص الصور الطبية، خوارزمية تُوصي بالأفلام، نظام يُترجم النصوص، نموذج يتنبأ بأسعار الأسهم، هذه كلها أنظمة ذكاء اصطناعي متخصصة في مهمة بعينها أو في نطاق محدد من المهام المتشابهة. هي بارعة داخل نطاقها، وعاجزة خارجه. النموذج الذي يكتب شعراً لا يستطيع قيادة سيارة. والنظام الذي يُشخّص الأورام لا يستطيع تأليف قصيدة. هذا التخصص ليس عيباً مؤقتاً ينتظر الحل، بل هو طبيعة بنيوية لما يوجد حتى الآن.

النوع الثاني هو الذكاء الاصطناعي العام، الكائن القادر على أداء أي مهمة فكرية يستطيع الإنسان أداءها، بمرونة حقيقية وفهم سياقي شامل. هذا النوع لا يوجد. وما إذا كان سيُوجَد، وكيف ومتى، يظل موضوع نقاش جدي بين الباحثين، بعيداً عن اليقين الذي يُشيعه الإعلام في كلا الاتجاهين. حين نتحدث اليوم عن "الذكاء الاصطناعي" بصيغة المطلق المُخيف أو المُبهج، فنحن في الغالب نتحدث عن الأول بلغة الثاني. وهذا الخلط هو مصدر معظم المبالغات في الاتجاهين.

الجذور التاريخية لهذا الحقل تكشف شيئاً مهماً: الذكاء الاصطناعي لم ينشأ كمشروع لصنع عقل اصطناعي بالمعنى الفلسفي، بل نشأ كمحاولة لأتمتة بعض العمليات المعرفية المحددة. في عام 1950، طرح عالم الرياضيات البريطاني آلان تورينغ سؤاله الشهير في ورقته البحثية "الحوسبة والذكاء": هل يمكن للآلات أن تُفكر؟ لكنه لم يُعرّف التفكير تعريفاً ميتافيزيقياً، بل اقترح معياراً وظيفياً عملياً يُعرف اليوم باسم "اختبار تورينغ": إذا استطاعت الآلة الإجابة على الأسئلة بطريقة لا يُميّزها المحاور عن إجابات الإنسان، فذلك يكفي للقول إنها "تُفكّر" بالمعنى العملي. كان تورينغ يُحاول تجنب فخ السؤال الفلسفي الذي لا إجابة له، والتركيز على ما يمكن قياسه واختباره.

في الخمسينات والستينات، نشأ ما بات يُعرف بـ"الذكاء الاصطناعي الرمزي" – محاولات لترميز المعرفة في قواعد منطقية صريحة. البرامج الأولى كانت تُحاكي التفكير المنطقي عبر قواعد "إذا – فإن" المتراكمة. لكن هذا المسار واجه جداراً: العالم الحقيقي أعقد بكثير من أن يُختزل في قواعد صريحة. كيف تُعرّف للآلة مفهوم "الكرسي" بقواعد منطقية بدون أن تُدرج كل استثناء ممكن؟ الإنسان يتعرف على الكرسي من نظرة واحدة حتى لو كان بتصميم لم يره من قبل. الآلة لا تستطيع ذلك بالقواعد الرمزية.

جاء التعلم الآلي في الثمانينات والتسعينات كمسار بديل: بدلا من كتابة القواعد يدويا، دعوا الآلة تستخرجها بنفسها من البيانات. المفهوم بسيط في صياغته: أطعم الآلة آلاف الصور للكراسي وآلاف الصور لأشياء أخرى، ودعها تكتشف بنفسها ما يُميّز الكراسي. والشبكات العصبية الاصطناعية، التي تحاكي بشكل فضفاض الطريقة التي ترتّب بها الخلايا العصبية في الدماغ المعلومات عبر طبقات، أتاحت هذا التعلم من البيانات بكفاءة متصاعدة.

لكن القفزة الحقيقية التي أنتجت ما نراه اليوم جاءت من اجتماع ثلاثة عوامل في وقت واحد في العقد الثاني من هذا القرن: بيانات ضخمة بكميات لم تكن متاحة في السابق بسبب انتشار الإنترنت، وقدرة حوسبة هائلة أصبح ثمنها في متناول الشركات بفضل رقائق المعالجة الرسومية، وتطور معماريات الشبكات العصبية وصولاً إلى ما يُعرف بنموذج "المحول" أو Transformer الذي أتاح تدريب نماذج لغوية ضخمة على نطاق لم يكن متاحاً. من هذا الاجتماع وُلد نوع جديد من الأنظمة القادرة على فهم اللغة وتوليدها بطريقة بدت بالغة الإدهاش لمن لم يتابع المسار التدريجي الذي أفضى إليها.

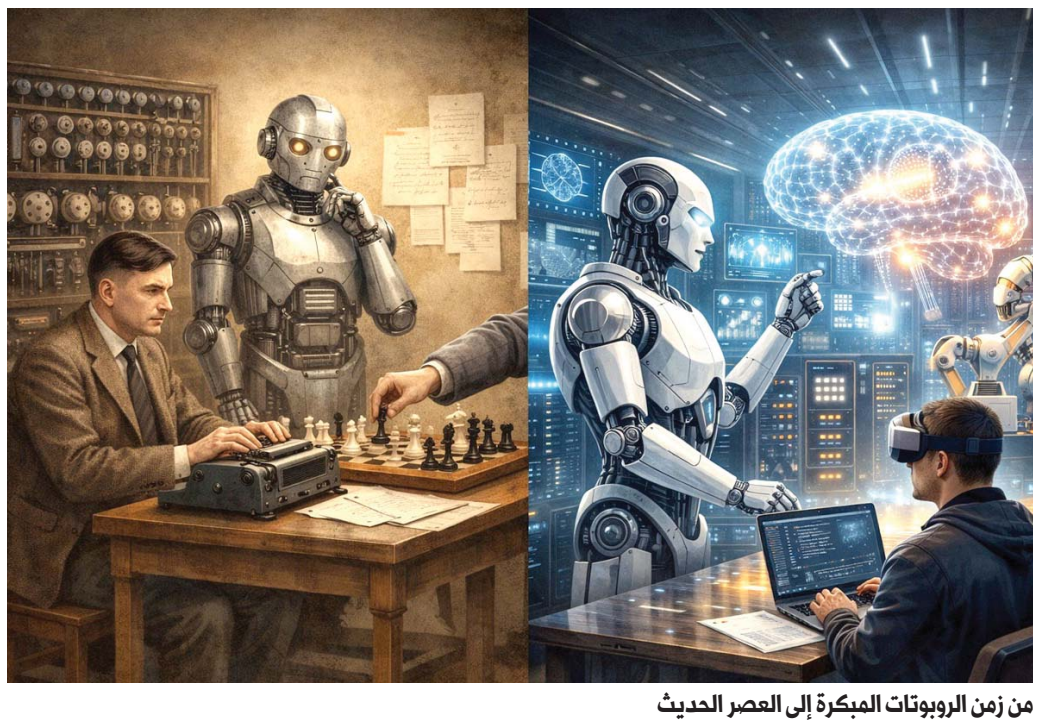

من زمن الروبوتات المبكرة إلى العصر الحديث

التطبيقات العملية لهذه التكنولوجيا انتشرت في كل مكان بسرعة أربكت حتى الخبراء أنفسهم. في الطب، تحلّل أنظمة الذكاء الاصطناعي صور الأشعة والرنين المغناطيسي للكشف المبكر عن الأورام والأمراض العينية والقلبية بدقة تُعادل أو تتجاوز في حالات كثيرة دقة الأطباء المتخصصين. هذا ليس مجازا، هذا نتائج دراسات سريرية نُشرت في مجلات محكّمة. في الترجمة، أصبح التواصل بين متحدثي لغات مختلفة أيسر مما كان في أي وقت سابق في التاريخ، وإن ظلت الترجمة الآلية دون مستوى المترجم البشري الماهر في النصوص المعقدة ثقافيا. في علم المواد، ساعدت أنظمة ذكاء اصطناعي على اكتشاف مواد جديدة لبطاريات أكثر كفاءة وأدوية محتملة لأمراض مستعصية. في القطاع المالي، تحلّل أنظمة آلية ملايين المعاملات في ثوان للكشف عن الاحتيال بدقة تفوق أي فريق بشري.

لكن ما يغيب عن هذا الإحصاء الإيجابي هو الذكاء الاصطناعي الذي لا نراه ونراه في آن: خوارزميات التوصية التي تحدد ما تشاهده على منصات الفيديو، وأنظمة التصفية التي تُقرر ما يُعرض على ملفك في وسائل التواصل، ونماذج التسعير التي تُحدد أسعار التذاكر والفنادق بناءً على توقعات الطلب. هذه تعمل بصمت بالغ وتأثير بالغ، وتُشكّل تجربة الملايين اليومية دون أن تُعلن عن نفسها.

حدود ما تستطيعه هذه الأنظمة أهم بكثير من إمكاناتها للفهم الحقيقي لطبيعتها. الذكاء الاصطناعي لا يفهم بالمعنى الذي نقصده حين نقول إن إنساناً يفهم. نماذج اللغة الكبرى تُنتج نصاً مترابطاً ومقنعاً لأنها تعلّمت الأنماط الإحصائية للغة عبر كميات هائلة من النصوص البشرية، لكنها لا تملك نموذجاً ذهنياً عن العالم. حين تُجيب بإجابة خاطئة بثقة عالية – وهو ما يُعرف بـ"الهلوسة" في مصطلح المجال – فهي لا تكذب بالمعنى الأخلاقي، بل تولّد ما بدا إحصائياً الأرجح استناداً إلى أنماطها، دون أن تعرف ما إذا كان صحيحاً.

الإبداع الحر أيضاً يظل خارج متناول هذه الأنظمة بالمعنى الدقيق. ما تُنتجه من نصوص وصور وموسيقى هو إعادة تركيب إبداعية لأنماط وجدت في بيانات التدريب، وهو إنجاز تقني لافت، لكنه يختلف جوهرياً عن الإبداع الذي يخرج من تجربة ذاتية وخسارة حقيقية وسؤال وجودي شخصي. الذكاء الاصطناعي لا يُعاني، ولا يفقد، ولا يحب، ولا يخاف الموت. وكل هذه التجارب هي الوقود الحقيقي للإبداع الإنساني في أعمق تجلياته.

الحكم الأخلاقي يطرح إشكالية مختلفة. الأنظمة يمكن برمجتها بقيود أخلاقية، وتدريبها لتتجنب مخرجات معينة، ولكن هذا ليس حكماً أخلاقياً، بل هو قيد معياري. الفارق بين الاثنين هو الفارق بين قانون يمنع السرقة ووعي أخلاقي يُدرك لماذا السرقة خطأ. الأنظمة تملك الأول لكنها لا تستطيع امتلاك الثاني بأي معنى حقيقي.

أما المخاطر، فهي حقيقية ومحددة وتستحق نقاشا جديا بعيدا عن لغة نهاية العالم. التحيزات التي تحملها هذه الأنظمة من بيانات التدريب يمكن أن تُرسّخ التمييز في قرارات التوظيف والقروض المصرفية والأحكام القضائية إذا طُبّقت دون رقابة. الاستخدام في الأسلحة المستقلة يطرح أسئلة أخلاقية عاجلة حول من يُساءل حين تُخطئ آلة مسلحة. والتركيز الهائل لقدرات هذه التقنية في أيدي شركات قليلة يُعيد توزيع القوة في اقتصاد المعرفة بطرق لم تُبلور لها قوانين ولا سياسات بعد.

التحدث عن الذكاء الاصطناعي بلغة الأسطورة يصعّب على المشرّعين التنظيم وعلى المواطنين المشاركة في قرار يمسّ حياتهم

الآفاق المستقبلية تستحق التأمل بدفتر ملاحظات العالم الواقعي لا بأقلام الخيال العلمي. الدمج بين أنظمة الذكاء الاصطناعي والحوسبة الكمية يمثل ربما أهم مسار في الأفق، لأن الحوسبة الكمية تعمل على حالات متعددة في آن معاً بدلاً من التسلسل الثنائي التقليدي، مما يعني قدرة على معالجة مسائل معينة تُعجز الحواسيب الكلاسيكية حتى الأقوى منها. تطبيقات محتملة في اكتشاف الأدوية ونمذجة المناخ وتحسين الشبكات الطاقوية تبدو واعدة بقدر ما تبدو بعيدة، والفارق بين الوعد والواقع في هذا المجال تحديدا كان تاريخيا كبيرا.

في البحث العلمي، تسهم هذه الأنظمة بالفعل في استكشاف فضاء الفرضيات الممكنة بسرعة تتجاوز طاقة الباحث البشري المحدودة بعمره وبساعات عمله. لكن الفارق الجوهري لا يزال قائما: الأنظمة تستطيع المسح والتصفية والنمذجة، لكن اختيار السؤال المثير للاهتمام واستشعار أين يكمن الجديد المهم، هذا يظل في معظمه في دائرة الإنسان.

في السياسات العامة، ثمة استخدامات واعدة لنمذجة تأثير القرارات واستكشاف عواقب السياسات الاجتماعية والاقتصادية قبل تطبيقها. لكن وضع هذه الأدوات في يد أنظمة لا تملك مساءلة ديمقراطية يطرح إشكالية الشفافية: من يحق له أن يسأل النظام عن أسباب توصيته؟ وكيف يُحاسَب إذا أخطأ؟

الخلاصة التي يصعب تجاوزها بعد كل هذا هي أن الذكاء الاصطناعي تقنية، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة. أداة صنعها الإنسان استجابةً لحاجات إنسانية، بمنهج علمي تراكم على مدى سبعة عقود، وهي خاضعة للتحليل والتقييم والنقد والتطوير والتنظيم كأي تقنية أخرى في التاريخ. الكهرباء لم تكن معجزة من السماء، كانت ظاهرة طبيعية وُظّفت بفهم متصاعد. والإنترنت لم يكن وعداً بالتحرر الإنساني المطلق ولا بالرقابة الشاملة، بل كان بنية تواصلية أتاحت كلا الأمرين بحسب الاستخدام والحوكمة.

الذكاء الاصطناعي يسير في الاتجاه نفسه. إمكاناته حقيقية ومهمة وستتوسع. حدوده بنيوية وليست مؤقتة في معظمها. مخاطره محددة وقابلة للتنظيم إذا توفرت الإرادة السياسية والكفاءة التقنية. والأثر الأعمق على المجتمعات سيتحدد لا بما تستطيعه هذه الأنظمة، بل بالقيم التي تُحكمها والمساءلة التي تُطبّق عليها.

ما يُعيق الفهم الحقيقي ليس غموض التقنية، بل لغة الغرابة التي التصقت بها. حين نتحدث عن الذكاء الاصطناعي بلغة الوجودي والأسطوري والمبهم، نُصعّب على المشرّعين التنظيم الواعي، وعلى المواطنين المشاركة في قرار يمسّ حياتهم، وعلى المستخدمين تقييم ما يعملون معه بوضوح. إعادة التعريف إلى اللغة الأرضية والدقيقة ليست تبسيطا مخلّا، بل هي الشرط الأول لأي نقاش عام جاد حول مستقبل تقنية بهذا الحجم من الأثر.

آلان تورينغ لم يسأل "هل يمكن للآلات أن تكون واعية؟" لأنه عرف أن هذا السؤال لا إجابة له قريبا. سأل بدلا من ذلك "هل يمكنها أن تتصرف بطريقة مجدية عمليا؟" بعد سبعة عقود، الإجابة نعم في سياقات محددة كثيرة ومثيرة للاهتمام. والسؤال الذي يُكمل هذه الإجابة ليس ميتافيزيقيا، بل هو عملي وسياسي وأخلاقي: كيف ندير هذه الأداة بما يخدم ما نريد الوصول إليه كبشر مع بعض؟ هذا السؤال لا تُجيب عنه الخوارزمية ويجب ألا نسمح لها بذلك.

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

نهائي بودابست طريق باريس سان جرمان لمواصلة كتابة القصة القارية

لويس إنريكي يبحث عن مكانة بين الأساطير

سيخوض باريس سان جرمان نهائي دوري أبطال أوروبا أمام أرسنال السبت، بقيادة لويس إنريكي، المدرب الذي قضى العقد الأخير في ترسيخ أحد أبرز سجلات النجاح في كبرى مباريات كرة القدم. فقد حقق لويس إنريكي الفوز في 11 من أصل 12 نهائيا قاد فيها فرقه، في مسيرة تمتد عبر تجربتين مختلفتين وثقافتين كرويتين، جمعتا بين الهيمنة الفنية والانضباط التكتيكي.

برلين - سيكون لقب دوري أبطال أوروبا لكرة القدم على المحك في المباراة النهائية التي ستقام غدا السبت في بودابست. لكن بالنسبة إلى باريس سان جرمان ومدربه لويس إنريكي، فإن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد. إلى جانب الدفاع عن اللقب أمام أرسنال، تلوح في الأفق أمام البطل الحالي ومدربه الإسباني فرصة لإثبات جدارتهما باعتبارهما الفريق الأعظم في هذا العصر.

وقال لويس إنريكي "وصلت إلى النادي وأنا أفكر، هدفي هو صناعة التاريخ، ولقد فعلنا ذلك. نريد مواصلة كتابة القصة لأننا نؤمن بأن هناك المزيد الذي يمكننا تحقيقه". ويعد سان جرمان بالفعل جزءا من النقاش عندما يتعلق الأمر بتقييم أفضل الفرق التي فازت باللقب في عهد دوري أبطال أوروبا. ولكن في بعض الأحيان، تكون الحقائق والأرقام الدامغة مطلوبة لإثبات هذا الأمر وتأكيده.

إن الفوز على ملعب "بوشكاش أرينا" سيجعل باريس سان جرمان ثاني فريق فقط يحافظ على لقبه منذ تغيير مسمى البطولة من كأس الأندية الأوروبية البطلة القديمة إلى دوري أبطال أوروبا في عام 1992. لعدة سنوات لم يتحقق هذا الإنجاز حتى لفرق كانت تصنف على أنها الأفضل في جيلها.

فقد فاز برشلونة، بقيادة جوسيب غوارديولا، بلقبين في ثلاث سنوات. ووصل كل من ميلان ويوفنتوس إلى ثلاثة نهائيات متتالية في التسعينات، لكنهما لم يفوزا إلا بلقب واحد لكل منهما. كما وصل أياكس ومانشستر يونايتد برحلة دفاعهما عن اللقب إلى المباراة النهائية، ليخسرا في الخطوة الأخيرة. لكن ريال مدريد، صاحب الرقم القياسي في عدد الألقاب الأوروبية، كسر هذه القاعدة أخيرا بعدما توج بالبطولة ثلاث مرات متتالية بين 2016 و2018. وما كان يبدو مستحيلا سابقا قد يصبح هدفا واقعيا جدا لباريس سان جرمان إذا انتصر غدا.

الإنجازات الشخصية

وفي حال فوز سان جرمان باللقب، سيصبح لويس إنريكي ثالث مدرب يحقق لقب دوري الأبطال ثلاث مرات، بعد جواريديولا وزين الدين زيدان. ومع ذلك، فإنه يؤكد أن دافعه لا يتعلق بالإنجازات الشخصية.

بعد الفوز بلقب دوري أبطال أوروبا مع برشلونة، نجح لويس إنريكي في بناء فريق لباريس سان جرمان وضع معايير جديدة في أوروبا خلال الموسمين الماضيين. ويجمع الفريق بين المهارة الهجومية والطاقة والإصرار، بطريقة تبدو كأنها تدفع كرة القدم نحو اتجاه جديد، عبر أسلوب لعب يعتمد على المجازفة دفاعيا سعيا وراء المكافأة الكبرى.

في أفضل حالاته، يبدو أن سان جرمان فريق لا يمكن إيقافه، وكان الفوز الكبير بخماسية نظيفة على إنتر ميلان في نهائي العام الماضي أكثر نهائي هيمنة في تاريخ البطولة الممتد لـ70 عاما. ومع امتلاك الفريق لتشكيلة يبلغ متوسط أعمارها أقل من 24 عاما، فإن الإمكانيات متوفرة للهيمنة لسنوات طويلة قادمة. ويبلغ ديزيريه دوي، صاحب هدفين في نهائي العام الماضي، 20 عاما فقط، بينما يبلغ لاعب الوسط المقاتل جواو نيفيز 21 عاما.

من السهل ملاحظة تميز سان جرمان من خلال عروضه، مثل الفوز المثير 5 – 4 على بايرن ميونخ في الدور نصف النهائي، لكن الألقاب وحدها هي التي تؤكد مكانة الفرق بين العظماء. وبالنسبة إلى الكثيرين، يبقى فريق برشلونة بقيادة غواريديولا، الذي توج عامي 2009 و2011 بوجود ليونيل ميسي وتشافي وأندريس إنييستا، هو المعيار الحقيقي للعصر الحديث. ويرى البعض أن فريق برشلونة بقيادة لويس إنريكي الذي فاز باللقب في عام 2015، والذي كان يضم الثلاثي ميسي ونيمار ولويس سواريز، كان أفضل حتى من ذلك الفريق.

من الناحية الرقمية لا يوجد من يضاهي ريال مدريد بقيادة زين الدين زيدان، والذي ضم كريستيانو رونالدو وكريم بنزيمة ولوكا مودريتش وتوني كروس، بعدما توج بثلاثة ألقاب متتالية. وخلال خمس سنوات حصد ريال مدريد لقب أوروبا أربع مرات.

في المجمل، لا يزال سان جرمان بعيدا عن الاقتراب من ألقاب ريال مدريد الـ15، خاصة أنه فاز بلقب دوري الأبطال لأول مرة العام الماضي، لكنه يستطيع فرض نفسه كأفضل فريق في عصره.

> إذا فوز سان جرمان باللقب سيصبح إنريكي ثالث مدرب يحقق لقب دوري الأبطال ثلاث مرات، بعد غواريديولا وزيدان

وقت طويل

مما لا شك فيه أن سان جرمان احتاج وقتا طويلا للوصول إلى هذه المرحلة. فبدعم مالي قطري ضخم، ضم النادي أفضل نجوم العالم في محاولة للسيطرة على ألقاب أوروبا، مثل ميسي ونيمار وكيليان مبابي وزلاتان إبراهيموفيتش، مع إنفاق مليارات الدولارات. لكن الفريق لم يصل إلى القمة إلا بعد التحول إلى مشروع يعتمد أكثر على روح الجماعة، رغم استمرار وجود النجوم الذين تم التعاقد معهم بتكاليف باهظة.

ورحل نجوم "الجالاكتيكوس" مثل ميسي ونيمار وأخيرا مبابي، بينما جاء دوي وجواو نيفيز وخفيتشا كفاراتسخيليا. كما عاد عثمان ديمبلي، الذي لم يحقق التوقعات في برشلونة، ليصبح القائد الفني لفريق موهوب للغاية رغم قلة خبرته. وبعد الوصول إلى الدور نصف النهائي في الموسم الأول للمدرب لويس إنريكي، جاء التتويج في الموسم الماضي، والآن تتاح للفريق فرصة الحفاظ على اللقب هذا الموسم.

أرقام للتاريخ

الأردني إبراهيم صبرة في المقدمة.. مواهب آسيوية تبحث عن التألق في المونديال

واشنطن - تتجه الأنظار إلى الجيل الآسيوي الصاعد قبل انطلاق كأس العالم لكرة القدم 2026، في ظل الطفرة التي تعيشها كرة القدم بالقارة بعد ضمان 9 منتخبات آسيوية مقاعدها في النهائيات المقررة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك. وبينما تستعد المنتخبات الكبرى للمنافسة على اللقب، يبرز عدد من المواهب الشابة المرشحة لخطف الأضواء وفرض نفسها على المسرح العالمي.

وتختلف أوضاع هذه الأسماء قبل البطولة، فبعضها أصبح عنصرا ثابتا في تشكيلة المنتخب الأول، فيما لا يزال آخرون يكافحون من أجل حجز مكانهم في القائمة النهائية. لكن القاسم المشترك بينهم هو امتلاكهم الإمكانات التي تجعلهم من أبرز اللاعبين الآسيويين الواعدين في السنوات المقبلة. وسلط الاتحاد الدولي لكرة القدم الضوء على ثلاثة أسماء شابة تستحق المتابعة خلال المونديال القادم.

أول المواهب

أول هذه المواهب هو إبراهيم صبرة، مهاجم منتخب الأردن، الذي شق طريقه عبر الفئات السنية لنادي الوحدات قبل أن ينتقل إلى جوزتيبي التركي، ثم يخوض تجربة إعارة مع لوكوموتيفا زغرب الكرواتي، وشارك اللاعب في خمس مباريات دولية، ولفت الأنظار بقدراته البدنية وتمركزه الذكي داخل منطقة الجزاء، إضافة إلى تفوقه في الكرات الهوائية، ما يجعله إحدى الأوراق الهجومية المهمة للمدرب جمال سلامي.

ومن الأردن أيضا يبرز الجناح الشاب عودة الفاخوري، الذي تألق مع الحسين إربد وساهم في تتويجه بلقب الدوري المحلي، قبل انتقاله إلى بيراميدز المصري خلال سوق الانتقالات الشتوية لعام 2026، والذي توج معه بلقب كأس مصر في وقت سابق من الشهر الجاري، بالإضافة إلى حصوله على المركز الثاني في ترتيب بطولة الدوري المصري. وخاض اللاعب ثماني مباريات بقميص "النشامى"، ويمتاز بسرعته الكبيرة وقدرته على استغلال المساحات وصناعة الخطورة في الثلث الهجومي.

> بينما تستعد المنتخبات الكبرى للمنافسة على اللقب، يبرز عدد من المواهب الشابة المرشحة لخطف الأضواء وفرض نفسها

أما أستراليا فتملك موهبة لافتة تتمثل في الجناح نيستوري إيرانكوندا، الذي بدأ رحلته مع أديلايد يونايتد قبل أن ينتقل إلى بايرن ميونخ الثاني، ثم يخوض تجربة إعارة مع جراسهوبرز السويسري، ليستقر لاحقا مع واتفورد الإنجليزي.

وشارك اللاعب في 13 مباراة دولية سجل خلالها خمسة أهداف، من بينها ثنائية أمام كوراساو في مارس الماضي، ويُعرف بسرعته وقدرته الكبيرة على المراوغة وإنهاء الهجمات.

مونديال استثنائي

سيكون مونديال 2026 استثنائيا في أمور عديدة، فهو أول نسخة ستقام في ثلاث دول مختلفة، وأول نسخة أيضا ستقام بمشاركة 48 منتخبا بعد قرار الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) زيادة عدد الفرق، حيث أقيمت منافسات كأس العالم بمشاركة 32 منتخبا خلال ست نسخ متتالية. وكذلك ستكون النسخة القادمة استثنائية في تقديم وجوه جديدة تشارك لأول مرة في كأس العالم على رأسها الثنائي الإسباني، لامين يامال وباو كوبارسي، لاعبا فريق برشلونة.

في أواخر موسم 2022 – 2023 قام تشافي هيرنانديز مدرب برشلونة بإشراك يامال، وهو لاعب شاب لم يتجاوز 16 عاما، وبعد ذلك أصبح لامين المولود لأب مغربي وأم من غينيا الاستوائية ركيزة أساسية في صفوف الفريق الكتالوني خلال المواسم الثلاثة الأخيرة، ساهم خلالها في تتويج الفريق بثلاثية الدوري وكأس ملك إسبانيا وكأس السوبر الإسباني في 2025، والفوز بلقب الدوري هذا الموسم.

أيوب بوعدي يتعهد بالتضحية لتشريف المغرب في المونديال

الرباط - كشف أيوب بوعدي عن مشاعره المتضاربة بين الفخر بتمثيل المغرب والامتنان لفرنسا التي صنعته كرويا، في رسالة مؤثرة نشرها عبر حسابه على منصة إكس. وذلك في أول تصريح رسمي له عقب إدراجه ضمن قائمة المنتخب المغربي لبطولة كأس العالم 2026.

بدأ بوعدي، البالغ من العمر 21 عاما، رسالته بالتعبير عن فخره الشديد بارتداء قميص "أسود الأطلس" في أكبر محفل كروي عالمي، قائلا "فخور بتمثيل المغرب في أكبر المنافسات، إنه حلم يتحقق". لكن اللاعب الواعد سرعان ما أضاف بعدا آخر لتصريحه، مؤكدا أن الوصول إلى المونديال ليس نهاية المطاف، بل "بداية مرحلة جديدة تتطلب مزيدا من العمل والانضباط والمسؤولية"، في إشارة إلى إدراكه لحجم التحدي المقبل.

وأكد بوعدي أنه يدرك تماما حجم الامتياز الذي يحظى به بالدفاع عن ألوان المملكة المغربية، متعهدًا ببذل أقصى ما لديه حيث قال "سأبذل كل ما لدي لتمثيل بلدي بأفضل صورة ممكنة"، في وعد صريح للجماهير المغربية المتعطشة إلى تكرار إنجاز قطر 2022.

في الجزء الأكثر إثارة للجدل من رسالته لم يتردد بوعدي في الحديث عن ماضيه مع المنتخب الفرنسي في الفئات العمرية، في اعتراف جريء نادرًا ما يجرؤ اللاعبون على التصريح به علنًا.

وقال بصراحة لافتة "أفكّر أيضا في فرنسا، فاختياري للمغرب لا يلغي فخري وامتناني لتمثيل قميصها في الفئات الصغرى"، في تصريح قد يثير ردود فعل متباينة بين الجماهير على جانبي المتوسط.

ورفض بوعدي النظر إلى هويته المزدوجة كصراع أو تناقض، بل اعتبرها مصدر فخر واعتزاز، مؤكدا "أنا فخور بهويتي المزدوجة، وبمساري وجذوري"، في رسالة واضحة لمن يحاولون إجباره على الاختيار بين انتماءين يعتبرهما جزءًا من كيانه. وختم اللاعب تصريحاته بتوجيه الشكر إلى كل من أرسل إليه رسائل دعم ومساندة عقب إعلان القائمة، قائلا "أشكر الجميع على رسائل الدعم".

واختتم بوعدي رسالته بكلمات حماسية موجهة إلى جمهور المنتخب المغربي، داعيا إياه إلى الوقوف خلف الفريق في رحلة المونديال، حيث قال "علينا أن نكتب الفصل القادم معًا"، في إشارة إلى طموح "أسود الأطلس" لتجاوز إنجاز الوصول إلى نصف نهائي قطر 2022. يُذكر أن قرعة بطولة كأس العالم 2026 أوقعت المنتخب المغربي في المجموعة الثالثة إلى جانب عملاق أميركا الجنوبية البرازيل، بالإضافة إلى أسكتلندا وهايتي، في مجموعة تعد من بين الأصعب في البطولة.

وسيستهل المغرب مشواره المونديالي يوم 13 يونيو المقبل بمواجهة نارية أمام البرازيل على ملعب ميتلايف في نيويورك، في اختبار مبكر لطموحات "أسود الأطلس" وللجيل الجديد الذي يمثله بوعدي. وفي مشهد غير مسبوق بتاريخ كرة القدم العربية، ستشهد نهائيات بطولة كأس العالم 2026 مشاركة ثمانية منتخبات عربية دفعة واحدة، وهو حدث يعكس التحول الكبير الذي تعيشه الكرة العربية خلال السنوات الأخيرة، بعدما كان مجرد تأهل منتخب عربي واحد إلى المونديال يعد إنجازا استثنائيا تحتفل به اجماهير في مختلف أنحاء المنطقة.

وبينما اعتادت الجماهير العربية على حضور محدود في النسخ الماضية، جاءت التصفيات الحالية لتؤكد اتساع رقعة المنافسة وارتفاع مستوى العديد من المنتخبات، خصوصا أن المنتخبات الثمانية المتأهلة سبق أن شاركت في بطولة كأس العرب التي أقيمت في قطر، وهي البطولة التي صارت بالنسبة إلى الكثيرين محطة إعداد حقيقية قبل خوض التحدي العالمي الأكبر.

> النجم بوعدي رفض النظر إلى هويته المزدوجة كصراع أو تناقض، بل اعتبرها مصدر فخر واعتزاز

العرب
الجمعة 2026/05/29
السنة 48 العدد 13821

«بوجلود» المغربي.. طقس تنكري يتحول إلى كرنفال

تحول كرنفال "بوجلود" الأمازيغي في أكادير والدشيرة من موروث فلكلوري عفوي إلى مهرجان دولي مهيكل، يساهم في إنعاش السياحة الثقافية والاقتصاد المحلي بعد عيد الأضحى. يجمع هذا الكرنفال بين التقاليد الموروثة كارتداء جلود الأضاحي والأقنعة الفنية وبين التنظيم العصري، ما جعله جاذبا للزوار ومحركا للتنمية التضامنية في المنطقة.

حصن الهوية الأمازيغية

أكادير (المغرب) - ما إن تنتهي طقوس التضحية والصلوات المعتادة في عيد الأضحى بالمغرب، حتى تنبض شوارع أقاليم وسط البلاد بحياة من نوع آخر؛ حيث يخرج آلاف الشباب واليافعين إلى الأزقة وهم يرتدون جلود الخراف والماعز والأقنعة التنكرية، محولين الحواضر الكبرى والبلدات إلى مسارح مفتوحة تحتفي بأحد أقدم الموروثات الفلكلورية الأمازيغية في شمال أفريقيا المعروف باسم "بيلماون" أو "بوجلود".

هذا الكرنفال الشعبي، الذي يمتد لعدة أيام تلي العيد مباشرة، يمثل مزيجا فريدا من الشعائر الدينية الإسلامية والتقاليد الثقافية الأمازيغية الضاربة في عمق تاريخ المنطقة، مكرسًا الفلكلور المحلي كرافعة سياحية واقتصادية حيوية قادرة على تحويل الموروث التاريخي إلى صناعة ثقافية جاذبة للزوار من مختلف أنحاء العالم.

في شوارع مدينة أكادير وجارتها الدشيرة المعقل التاريخي للاحتفالية، لم يعد "بيلماون" مجرد ممارسة قروية عفوية تمر عابرة مع أيام العيد؛ بل تحول الطقس الأمازيغي العريق إلى مهرجانات منظمة واسعة النطاق تنبض بأحدث صيحات الإبداع الفني والتنكري. وتشهد هذه الحواضر تشييد منصات استعراضية كبرى ومسارات مؤمنة تمتد على مسافات طويلة عبر المحاور الرئيسية مثل شارع محمد الخامس، لتستوعب الحشود الغفيرة التي تتدفق لمتابعة المهرجان.

وتتحول المدن إلى مسارح مفتوحة ومجهزة بأنظمة صوت وإضاءة حديثة، حيث تسير مواكب المجموعات التنكرية في طوابير منظمة مدعومة من الهيئات البلدية وجمعيات المجتمع المدني، مما ينقل الكرنفال من العفوية المحلية إلى الاحترافية التنظيمية التي تحاكي المهرجانات الدولية الكبرى.

وتجلت هذه النقلة الحضرية في الطريقة الفنية التي بات يتعامل بها الشباب مع أزياء الكرنفال؛ إذ لم يعد الأمر مقتصرًا على ارتداء جلود الأضاحي الخام وتجفيفها بطرق بسيطة، بل طور اليافعون وصناع التراث المحليون ورشات يدوية متخصصة تسبق العيد بأسابيع لتجهيز جلود الماعز التي يفضلونها لخفتها أثناء الحركة. ويقوم هؤلاء الشباب بدمج الجلود الطبيعية المعالجة بعناية مع مواد حديثة ومؤثرات بصرية لصناعة أقنعة تنكرية مجسمة بالغة التعقيد تشمل تموجات ومجسمات فنية مبتكرة. هذه التصاميم تمزج بين ملامح الكائنات الأسطورية الأمازيغية واللمسات الفنية المعاصرة، لتشكل لوحات حية من الإبداع البصري المستقل الذي يتنافس فيه المشاركون على نغمات الطبول وموسيقى فرق "إيسمكان" التراثية.

ولا يقتصر الاحتفال على الجانب الاستعراضي والترفيهي فحسب، بل يحمل أبعادا تضامنية عميقة؛ إذ يطوف الشبان الملقبون بـ"المتنكرين" بين المنازل والأزقة حاملين في أيديهم قوائم الأنعام لضرب المارة بضربات خفيفة يُعتقد في المخيال الشعبي القديم أنها "تحمل البركة". وخلال هذه الجولات يقومون بجمع هبات نقدية أو عينية من العائلات. وبحسب الأعراف المحلية المعمول بها في قرى ومدن جهة سوس ماسة، تُباع بعض هذه الهبات في مزادات علنية، لتُخصص عائداتها المالية مباشرة لتمويل مشاريع خيرية محلية، مثل صيانة آبار المياه أو تعبيد الطرقات أو تقديم مساعدات مباشرة للأسر المعوزة في المنطقة، مما يعزز قيم التكافل الاجتماعي وتنمية البنية التحتية المحلية.

وأصبح هذا التحول المؤسساتي لكرنفال "بيلماون" أداة إستراتيجية لإنعاش التنمية الاقتصادية والسياحية في وسط المغرب. وتشهد الفنادق والمطاعم والأسواق التجارية في أكادير وإنزكان وآيت ملول والدشيرة انتعاشة ملحوظة تلي أيام العيد مباشرة، مدفوعة بتوافد أكثر من 200 ألف زائر محلي وأجنبي.

وتستثمر السلطات السياحية هذا التدفق البشري لترويج سياحة ثقافية بديلة تسلط الضوء على الغنى الثقافي للمغرب. ولم يعد السائح يأتي لأكادير من أجل منتجعاتها الشاطئية فحسب، بل بات يبرمج زيارته للاطلاع على الفلكلور الأفريقي الأمازيغي الحي، مما يساهم في تمديد فترة الذروة السياحية الصيفية وخلق فرص عمل موسمية للمئات من شباب المنطقة في قطاعات الخدمات والصناعة التقليدية والتنظيم.

ورغم الشعبية الجارفة والنجاح الاقتصادي لـ"بيلماون"، تثير الاحتفالات نقاشا موسميا متجددا داخل المجتمع المغربي. ويرى المدافعون عن الهوية الأمازيغية في الكرنفال حصنا ثقافيا يحمي الموروث القديم للبلاد من الاندثار.

ويجمع الباحثون في الأنثروبولوجيا بالمغرب على أن قدرة هذا الطقس على الصمود والتأقلم عبر القرون، وتحوله من طقس قروي تقليدي إلى كرنفال سياحي معاصر، يجعلانه أحد أكثر الكرنفالات الأفريقية تميزا وأشهدها ارتباطا بروح الجماعة وتنمية الاقتصاد المحلي.

مباريات الملاكمة تحول الأهرامات إلى وجهة رئيسية للترفيه في مصر

القاهرة - عندما دخل بطل العالم في الملاكمة أولكسندر أوسيك الحلبة لمواجهة ريكو فيرهوفن في نزال في مصر حظيَ بتغطية إعلامية واسعة، بدا أن هناك نقطة واحدة على الأقل أجمع عليها المشاهدون: كان الحدث استثنائيا ومبهرا. وقد شكّلت أهرامات الجيزة خلفية درامية للنزال الذي جمع بطل الوزن الثقيل الموحد الأوكراني بالنجم الهولندي في رياضة الكيك بوكسينغ داخل حلبة خارجية مؤقتة أُقيمت على هضبة الجيزة فجر الأحد. ونجح فيرهوفن في تقديم أداء هجومي قوي وحازم خلال أغلب الجولات، قبل أن يسقط بالضربة القاضية الفنية في الجولة الحادية عشرة.

وجاء النزال ضمن سلسلة فعاليات حملت اسم "مجد الجيزة"، حيث جرت المواجهة تحت ظلال الآثار الفرعونية الشامخة التي يزيد عمرها على أربعة آلاف عام، في خطوة عكست أحدث المحاولات المصرية لتحويل المقابر الملكية القديمة إلى وجهة رئيسية للترفيه الحي واسع النطاق.

ورغم أن إقامة الحفلات والفعاليات عند الأهرامات ليست أمرا جديدا بالكامل، حيث سبق أن استضاف الموقع عروضا لفنانين عالميين مثل فرانك سيناترا وفرقة الروك الأميركية الأسطورية غريتفول ديد في أواخر السبعينات، ثم فرقة ريد هوت تشيلي بيبرز في 2019، فإن السنوات الأخيرة شهدت توجها أكثر وضوحا نحو استقطاب شخصيات رياضية وموسيقية عالمية.

> النزال جاء ضمن سلسلة فعاليات حملت اسم «مجد الجيزة»، حيث جرت المواجهة تحت ظلال الآثار الفرعونية الشامخة

ويأتي هذا التوجه بالتزامن مع سعي مصر إلى جذب 30 مليون سائح سنويا خلال العقد المقبل، بينما تعمل شركة أوراسكوم بيراميدز للمشروعات الترفيهية، المملوكة لرجل الأعمال المصري نجيب ساويرس، على تحديث تجربة زيارة الأهرامات وتحسين إدارتها بعد سنوات من الفوضى والمشكلات التنظيمية.

ووصف عمرو جزارين، رئيس مجلس الإدارة والتنفيذي لشركة أوراسكوم بيراميدز للمشروعات الترفيهية، الأهرامات بأنها "أهم وأثمن خلفية في العالم"، مشيرا إلى أن أي فنان أو رياضي أو حتى سياسي يتطلع إلى الظهور وخلفه هذا المعلم التاريخي الفريد. وبات تنظيم الفعاليات الترفيهية الضخمة أحد أبرز مظاهر الطموح المصري الجديد، في ظل اعتماد الدولة، الأكثر سكانا في الشرق الأوسط، على السياحة كمصدر أساسي للعملات الأجنبية، سواء عبر المواقع الأثرية أو المنتجعات الساحلية.

وسجلت مصر خلال العام الماضي رقما قياسيا بوصول عدد السياح إلى 19 مليون زائر، في مؤشر على قدرة القطاع السياحي على الصمود رغم الحروب والأزمات التي تشهدها أجزاء أخرى من الشرق الأوسط.

لكن، وعلى مدى سنوات طويلة، ظلت البنية التحتية المحدودة والتحديات اللوجستية وضعف الترويج الرسمي تحول دون استضافة الأهرامات سوى عدد محدود نسبيا من الفعاليات الدولية الكبرى، بحسب جزارين.

> أطلقت الفنانة اللبنانية هيفاء وهبي عملها الغنائي الجديد بعنوان «شو المطلوب» على طريقة الفيديو كليب، بالتزامن مع أول أيام عيد الأضحى، لتسجل حضورا قويا في صدارة المنصات الموسيقية الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي مع انطلاق موسم الصيف الفني. العمل الجديد، الذي أخرجه المخرج اللبناني جو بوعيد، تم تصويره كاملاً في لبنان.

«الجاموس ترامب» ينجو من النحر بسبب خصلات شعره

دكا - أنقذت سلطات بنغلاديش جاموسًا أمهق (ألبينو) نادرًا يحمل اسم "دونالد ترامب" من الذبح، بعد أن تحول الحيوان ذو خصلات الشعر الشقراء الكثيفة إلى ظاهرة عالمية عبر منصات التواصل الاجتماعي.

وكان من المقرر أن تتم التضحية بالجاموس، الذي يزن نحو 700 كيلوغرام، بمناسبة عيد الأضحى، إلا أن وزارة الداخلية تدخلت في اللحظة الأخيرة لإلغاء عملية النحر بسبب الاهتمام الشعبي الجارف والمخاوف الأمنية الناتجة عن تزاحم الحشود. وأمرت السلطات بإعادة ثمن الأضحية إلى المشتري، ونقل الحيوان رسميًا للعيش في حديقة الحيوانات الوطنية بالعاصمة دكا.

ونشأ الجاموس الأمهق في مزرعة "رابيا أغرو" بمدينة نارايان غانج القريبة من دكا، حيث أطلق عليه شقيق المالك اسم "دونالد ترامب" مازحًا بسبب خصلة شعره الذهبية المنسدلة على جبهته، والتي تتطابق تمامًا مع تسريحة شعر الرئيس الأميركي.

وقال ضياء الدين مريدها، المالك السابق للجاموس البالغ من العمر أربعة أعوام، "بدأ الأمر كدعابة عائلية، لكن المزرعة تحولت فجأة إلى مزار يومي يتدفق إليه آلاف الزوار والأطفال وصنّاع المحتوى لالتقاط صور السيلفي مع الحيوان". وأضاف مريدها أن كثافة الزيارات تسببت في إصابة الجاموس بالتوتر وفقدان الشهية، وهو ما دفعه إلى تقييد الزيارات قبل بيعه لاحقًا.

وأكد عتيق الرحمن، مدير حديقة الحيوانات الوطنية في دكا، تسلم الحيوان قائلًا "لقد خصصنا له حظيرة منفصلة ومقدم رعاية خاصا، وسيخضع للحجر الصحي لمدة أسبوعين للاطمئنان على سلامته قبل دمجه ليكون أحد المعالم المميزة الدائمة في الحظيرة الوطنية".

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

كل عام وجهازكم الهضمي بألف خير

صحوت صباح العيد، فإذا بي أتوهم أنني قد صرت بطلا من أبطال الزمان، وأنني بعد صوم طويل وصبر جميل، قد أصبحت جاهزا للمعركة الكبرى. صليت صلاة العيد بخشوع، كبّرت ودعوت، ثم عدت إلى البيت لأباشر المهمة الحقيقية: الانتقام من أيام الانقطاع الشامل عن اللحم والشحم.

فإذا بالخروف مذبوحا، وقد اصطفّت أجزاؤه كالجيوش، وأُشعل الفحم كالنار في المعسكر، وجلست العائلة حول الشواية كما يحلق القادة حول خرائط الحرب، يتشاورون في توقيت الملح، ويختلفون في سرّ التقليب.

كانت المائدة ـ رحمها الله ـ ميدانا لا يُوصف: الكباب في الوسط قائدٌ مغوار، الكلاوي على يمين الصف تتفاخر برائحتها، والكبد على يساره في صمت الأبطال، والمعدة المشوية في الزاوية كجهاز استخبارات لا يُعلّق عليه أحد. وفي الخلفية، صواني المنسف والشاورما والمضغوط تنتظر دورها كقوات احتياط، يعلم الجميع أنها لن تُستدعى، لكنها هناك لتثبت أن ربّ البيت رجل جاد.

وما هي إلا ساعة حتى بدأ الأبطال يتساقطون في غيبوبة الطعام: العم الكبير أول من انهزم، رقد على الأريكة وهو يردد: "والله أكلت عادي"، وقد أكل بما لا يقل عن وزنه كبابا. والخال الحكيم الذي قال قبل الجلوس إلى حفل الشواء "لن آكل كتير لحمة هالسنة"، كان آخر من انسحب.

هذا عن المشهد من الخارج... في داخل الجسد، انعقد مؤتمر طارئ: المعدة رفعت يدها وقالت "لقد تجاوزنا الطاقة الاستيعابية، أطلب حالة طوارئ". القلب أجاب متعبا "الكولسترول يطرق بابي بلا استئذان، وأنا لا أملك دبلوماسية الرفض". الكلى صاحت "أنا في إضراب، البيورينات بلغت حدًا لم يُسجَّل منذ عيد الأضحى الماضي". أما الكبد، فظل صامتا، يعمل أوفرتايم بلا شكوى.

غيبوبة الطعام، حالة مباركة يفسرها الناس بالراحة، ويصفها الأطباء بالانسحاب التكتيكي للجهاز الهضمي. المواطن المستلقي بعينين نصف مغلقتين ليس نائما، بل يرسل تقريرا دوريا كل عشر دقائق عن وضعه الصحي.

في ثقافتنا، الكمية ليست فائضا بل رسالة. من يشوي كيلوين كباب يُعدّ رب أسرة معقول، ومن يشوي خمسة كيلوات يُعدّ كريما، ومن يشوي خروفا كاملا يُعدّ أسطورة. فاللحم هنا ليس وجبة، بل إفصاح عن الشخصية، وكل سيخ إضافي تصريح سياسي غير معلن.

في النهاية، عيد الأضحى يظل عيدا واحدا، لكن طرق الاحتفال به تجعل منه أعيادا متعددة. من الصين إلى ليبيا، ومن فلسطين إلى الجزائر، ومن باكستان إلى اليمن، تتنوع الطقوس وتتشابك المفارقات. العيد يوحّد الشعائر، لكنه يفرّق العادات، ليمنحنا لوحة ساخرة عن الإنسان الذي لا يكتفي بالذبح، بل يبحث دائما عن طريقة ليجعل من الخروف قصة تستحق أن تُروى.

وهكذا، يصبح العيد مناسبة لاختبار قدرة الشعوب على الإبداع، ليس في الطقوس الدينية، بل في تحويل الأضحية إلى بطل قومي، أو ضحية تجميلية، أو منافس رياضي، أو حتى صديق مؤقت. وبينما يظل الهدف واحدا، وهو أداء الشعيرة، فإن الطرق التي يسلكها الناس تكشف عن عالم مليء بالمفارقات، حيث الدين يلتقي بالتراث، والجدية تلتقي بالسخرية، والخروف يلتقي بمصيره المحتوم... أما أنتم، فكل عام وجهازكم الهضمي بألف خير.